مجلة الواحة الثقافية

ذو القعدة ١٤٣٤ هـ - أيلول ٢٠١٣ م

تصدر عن
رابطة الواحة الثقافية

العدد
١١

مجلة الواحة الثقافية

تصدر عن
رابطة الواحة الثقافية

العدد الحادي عشر

رئيس التحرير
الدكتور سمير العمري

مدير التحرير
الدكتور مازن لبابيدي

التدقيق اللغوي
فاتـن دراوشـة الدكتور احمد رامي

تصميم
بهجت الرشيـد

moltaqa/net.alwaha-rabitat.www://Http

الواحة الثقافية رابطة وساحة مؤسسة ثقافية عالمية

في القعدة ١٤٣٤ هـ - أيلول ٢٠١٣ م

فهرست

في هذا العدد

كلمةُ رئيس التّحرير

في مستهل الكلام ١

كلمةُ مدير التّحرير

هل نحتاج حقاً للبث المباشر ـ الدكتور مازن لبابيدي ٢

شعـــــر

أحج روحاً ـ الدكتور سمير العمري ٦

ودع ودّع ـ ربيحة الرفاعي ٣٨

ثقافة وفكـــــر

ملخص مناسك الحج والعمرة ـ عبدالرحيم صابر ٣

إنه يناديا ـ د. عثمان قدري مكانسي ٥

نهضة أم طفرة ـ عبدالصمد زيبار ١٠

تغريب أم تغييب للنص ـ هشام مصطفى ١٣

الحضارة الأندلسية إسلامية لا غربية ـ أ. د. خديجة إيكر ١٩

وأذن في الناس بالحج ـ سهيل المغربي ٢٢

جدلية العقل والدين عند البابا المستقيل ـ خليل حلاوجي ٢٥

الحداثيون وقراءة النص الشرعي ـ هيام ضمرة ٣

آيات السجود دراسة بلاغية وفق المنهج الإسلامي ـ محمد عبدالمجيد الصاوي ٤٠

التربية غير المنتجة ـ فريد البيدق ٤٧

قصـــــة ونثر

أيام ـ مصطفى حمزة ٩

صورة معلقة على جدران القلب ـ احمد عثمان ١١

نسر جريح ـ حسام القاضي ١٤

إلى وطني بثورته ـ نداء غريب صبري ١٨

ليتها توقفت واستمعت ـ الفرحان بو عزة ٢٣

زيارة سلطانية ـ بهجت عبدالغني الرشيد ٢٨

حياة في مشاهد ـ وفاء شوكت خضر ٣٤

زهرة الجوري ـ محمد الشرادي ٤٥

دراسات نقدية

المعري أنا الشيخ المفترى عليه ـ احمد حمود الغانم ١٥

ولا في علو السماء للراحلة شريف العلوي ـ كاملة بدارنة ٣٠

الشيب في الشعر العربي ـ مصطفى حمزة ٣٠

واحيات

الواحة منبر حر ٣٥

مسابقة الواحة الرمضانية ٤٤

ومضـــــات

..... ٤٨

كاريكاتور

..... ٤٩

في مستهل الكلام

الدكتور سمير العمري

أقربُ التفاسير لدلالةِ لفظةِ القناعةِ ، من حيثُ الدلالةُ اللغويةُ , هي الأخْذُ بالفكرةِ و الارْتِياحُ إليْها عَلى أنَّهَا هِيَ الصَّوابُ وَالحَقِيقةُ والإذعانُ النفسيُّ لما تمَّ توفيرُه من أدلَّةٍ عليها ، وهي بذلك ليست مواقفَ عابرةً أو آراءَ لحظيةً بلْ لعلها أشبهُ بأحكامٍ متصلبةٍ عصيةٍ على التغيير تتسِمُ بالاستمراريةِ النّسبيةِ ، وهي من حيثُ الدلالةُ " السيكولوجيةُ " دافعٌ للسلوكِ وموجهٌ للميولِ والانفعالاتِ والتفاعلِ باعتبار رسوخِها في الوجدانِ ، ويمكن بذلكَ تعريفُها نفسيًا باتّجاهٍ نفسيٍّ موجهٍ للسلوكِ ومتحكمٍ بالتفكير .

وتتشكلُ القناعاتُ في بداياتها بتفسيرٍ ذاتيٍّ أو خارجيٍّ أو بتلقينٍ مباشر أو غير مباشرٍ بمهارةِ توصيلٍ عاليةٍ، لمواقفَ أو مشاهدَ سجَّلتْها الذاكرةُ وأضافتْ عليها قيمةً معنويةً ذاتَ صلةٍ بتوجيهِ مشاعرنا نحو ذواتنا وما حولَنا واستقبالِنا لما يحدثُ والتفاعلِ معه، وانطلاقًا منها تنشأ الأفكارُ تجاهَ فئاتٍ ما وما يصدرُ عنها من مواقفَ، والاستعدادُ لسماعِ وتقبُّلِ ما يقالُ بشأنها استنادًا إلى الأفكار القائمةِ بحقّها والمواقفِ المسبَّقةِ منها ، وقد يكون أهمَّ ما يترتَّبُ على تلك القناعاتِ هو التعميمُ وإصدارُ الأحكامِ المتسرعةِ والقراراتِ غير المنصفةِ, وتوزيعُ الاتهاماتِ, والاجتهادُ في نشرها, وتبني المواقفَ الموافقةَ أو المخالفةَ دونَ احتكامٍ للمنطق في طرحِها أو للعقلانيَّةِ في تبنّيها.

ورغمَ أنّ أصعبَ القناعاتِ هي التي ترسختْ منذُ الصّغر , فإنَّ تلكَ التي تغرسُها في لا وعي المجاميع قوىً مقتدرةٌ أو متنفّذةٌ كالإعلامِ مهما بلغتْ حداثتُها تكونُ أعتى على محاولاتِ التّوعيةِ والتّغيير، وذلكَ لاعتمادِ المؤثرِ وسائلَ لا تقفُ عند غرسِها بلْ تعمّدُ لتأكيدِها وتجديدِها بالتّكرار وباختيارِ الألفاظِ والكلماتِ الملهبةِ للمشاعر والموجهةِ للانفعالِ مدعّمةً بالصورةِ المقتطعةِ معزولةً عن محيطِها، فتسلبُ وعيَ المتلقي باستيلاءِ الطّرح على حاستَي الاستقبالِ الرئيسيتين السمعِ والبصر، وتحدُّ من قدرتِه على التفكّر فيما يرى ويسمعُ، وتعتمدُ خلقَ الأنماطِ للشخوصِ والجهاتِ المقصودةِ بتوجيهِ الشرائح المستهدفة، فتركّزُ على صفةٍ ذاتِ أثرٍ متفقٍ و ما هو مطلوبٌ، و تأخذ في إبرازها وإثباتها وتكريسها في اللاوعي الجمعيِّ لتلك الشرائح المستقبَلةِ، لتصبح صورةً نمطيةً أكيدةً للمقصودِ, تتبادرُ بقالبها للذهن حالَ ذكرهِ , وتصنعُ ردّةَ الفعلِ المطلوبةَ إيجابيةً أو سلبية ..

وقد يَعتبرُ بعضُهم القناعاتِ برسوخِها قيمًا ومبادئَ ينافِحُ عنها فيكونُ التداخلُ بين المرجعيّةِ الثابتةِ والمكتسبِ التّأثيريِّ، ويَنفلتُ المرءُ بذلك من عاملٍ فاعلٍ في صناعةِ الحضارةِ، منطلقُهُ في سعيهِ بها مرجعيةٌ ثابتةٌ, ضابطًا وحاكمًا ومقوِّمًا لكل أمره صواباً أم خطأً؛ هي المرجعُ الشرعيُّ القرآنُ الكريمُ وسُنّةُ المصطفى، و غايتُه النهوضُ بواقعِ الأمّةِ, وإعادةِ مجدِها, وصناعةِ حضارتِها، ليتحول إلى مِعوَلِ هدْمٍ سلبيٍّ، يتحرّكُ بيدِ محركِ قناعاتِه وموجهِ انفعالاتِه.

كما و تنحدرُ القناعاتُ بحامليها لما هو أسوأ وأردأ حين تغرقُ في السلبيّةِ فتؤدّي بالمؤمن بها للتوقُّفِ الذاتيِّ عن التقدُّمِ في مساراتِ الحياة بدعوى اليقين من عدمِ جدواها، فتجذبُ بذلكَ الأفرادَ, ومن ثَمَّ المجتمعَ بأكملِه إلى الخلفِ، مما يجعلُ من فهمِ عقلاءِ الأمّةِ لدَورِ القناعاتِ في صناعةِ الواقعِ ودفعِ أو تعطيلِ المسيرةِ تبعًا لإيجابيّتها وسلبيتها واشتغالِهم على تغيير السلبي منها بالإيجابي والمثبِّطِ منها بالدافع أهمَّ وأنفعَ للأمّةِ من اشتغالهم على دفع الأفرادِ باتجاهِ العملِ بينما تحركُهم قناعاتُهم باتجاهٍ غيره.

ولا شكَّ أنّ بناءَ الذاتِ أولًا يُعتبرُ الدعامةَ الأساسيةَ للتصدّي لسيلِ الموجّهات المخلّقة للقناعات ذاتِ الأغراضِ الخادمةِ لصنّاعها، فالرضا عن الذات يعني التحصُّنُ بسياجٍ من الأحكامِ التي يحملُها الفردُ عن نفسِه، ويساعدُه على تبنّي توجُّهٍ فكريٍّ متينٍ يتحدّى التشريبَ ويعتمدُ التفكيرَ والتدبّرَ في كل ما يسمعُ ويرى ، وينتهجُ التحليلَ المنطقيَّ والتعاملَ مع الرسائلِ التوجيهيّةِ التي سيبثُّها المؤثّرُ أيًّا كان نوعُه بعيدًا عن التوجُّه الذاتيِّ لتلبية نداءِ الهوى ونُباح المصالح ووشوشاتِ الميول.

إنَّ الأمّةَ تعاني اليومَ من أثرِ هذا الاختلاطِ في المفاهيم, ومن التّلاعبِ الفاضح على المصطلحاتِ بما أدّى إلى حالةٍ من النّفاق الفرديِّ والجمعيِّ فأصبحَ الصادقُ كاذبًا والكاذبُ صادقًا والأمينُ خائنًا والخائنُ أمينًا والمجرمُ مصلحًا والمصلحُ مجرمًا. هي حالةٌ تزيدُ من حالةِ التّردّي الحضاريِّ الذي تُعاني منه الأمّةُ ولنْ يُصلحَ الأمرَ إلا تجردُ المرءِ من الهوى , ثُمّ تحرّي الحقَّ والحقيقةِ في الحُكم, ومن ثمّ التصدي لهذه المُهمّةِ الصّعبةِ لنهضةِ أمةٍ يوجّهُ الأعلامُ فيها من لا يوجِّهُه الإعلامُ.

د. مازن لبابيدي

هل نحتاج حقا للبثّ المباشر ؟

نشاهدُ في زمنِنا هذا ما يحدثُ في عالمِنا ويُنقلُ إلينا بوسائطِ الإعلامِ بسرعةٍ خاطفةٍ تصلُ إلى حدِّ النّقلِ المباشرِ للأحداثِ الكبيرةِ الأهميّةِ، وتتنوّعُ هذهِ الأخبارُ منْ مهرجاناتٍ فنّيّةٍ إلى مبارياتٍ رياضيّةٍ إلى لقاءاتٍ فنيّةٍ ومؤتمراتٍ سياسيّةٍ وزلازلَ وتسونامي وتسرّباتٍ إشعاعيّةٍ ومواجهاتٍ قتاليّةٍ ومجازرَ وتدميرٍ وحرائقَ. والغريبُ أنّهُ لمْ يطّلِعْ علينا أحدٌ يومًا يكذّبُ إحرازَ برشلونةَ لهدفٍ شاهدناهُ على القنواتِ الفضائيّةِ أو يدّعي أنّ مفاعلَ فوكوشيما في اليابانَ هو فبركةٌ إعلاميّةٌ أو أنّ التسونامي الّذي اجتاحَ بُلدانَ جنوبِ آسيا تسبّبت بهِ الولاياتُ المتّحدةُ الأميريكيّةُ مثلًا!، بينما تقعُ المجازرُ الّتي تودي بحياةِ الآلافِ منَ المسلمين في كلّ يومٍ في أنحاءِ المعمورةِ على مرأى من عدساتِ الكاميراتِ الحديثةِ الفائقةِ الدّقةِ وتنقلُ لنا صورًا لا تقبلُ بوضوحِها وتواتُرِها الشكَّ فنشاهدُ جثثَ المسلمينَ وعائلاتِهم وأولادَهم مسجّاةً ممزّقةَ الأشلاءِ أو محروقةً، ونشاهدُ جرحاهم يحتضرونَ ومنازلَهم مدمّرةً ومحروقةً ومساجدَهم مستباحةً ونستمعُ إلى شهودٍ أحياء من تلكَ المناطق يروونَ لنا ما شاهدوهُ عيانًا وعانوهُ مرارًا وتكرارًا، ثمّ يطلع علينا معَ كلِّ ذلكَ منْ يكذّبُ الحدثَ أو يشكّكُ فيهِ أو يتّهم الضحيّةَ بالجُرمِ ويجعلُ المظلومَ ظالمًا ثمّ لا يكتفي بذلكَ بلْ يتّخذهُ ذريعةً لمزيدٍ منَ البطشِ والتّنكيلِ، وإذا ما ووجهَ هؤلاء بحملةٍ قويّةٍ من أصحابِ بقايا الضّميرِ الإنسانيِّ أو بقايا أصحابِ هذا الضّميرِ كان كلّ ما يفعلونَه هوَ الوعدُ بالتّحقيق والتحقّق ومنْ ثمّ التّسويفِ والسّعيِ لطمسِ الحقائق وتغييبِها وكأنّ المشاهدَ لتلكَ الصّورِ كانَ ينقصُه مزيدٌ من الإرباكِ والتّشكيكِ والمغالطةِ فيما رأى وهو الّذي أصلًا لمْ يتجاوزْ في تفاعُلِه معها حدَّ تغييرِ القناةِ الفضائيّةِ أو في أحسنِ الأحوالِ إغلاق جهازِ التّلفازِ والالتفاتِ متشاغلًا أو لا مباليًا إلى حياتِهِ اليوميّةِ. جعلتني هذه الفكرةُ أتأمّلُ قصّةَ الخليفةِ العباسيّ المعتصم عندما أخبرَ بامرأةٍ منَ المسلمينَ صرختْ تستنجدُ به على بعد مئاتِ الأميالِ منْ بغدادَ بعدَ أنْ استولى الرّومُ على مدينةِ عمّوريّةَ، كنموذجٍ صارخٍ لحدثٍ سياسيٍّ حربيٍّ لهُ أثرٌ اجتماعيّ وخبرٌ إعلاميّ تمّ نقلَه لمسافةٍ طويلةٍ إلى عاصمةِ الخلافةِ وما كان بعدَ ذلكَ من إعدادٍ للغزوِ والتّحريرِ. وبغضِّ النّظرِ عن تفاصيلِ هذهِ القصّةِ وحيثيّاتِها ودرجةِ المصداقيّةِ فيها منَ الجانبِ التاريخيِّ فإنّها تشكّلُ نموذجًا قويًّا للمقارنةِ الّتي أنا بصددِها، حيثُ نجدُ أنّ المجتمعَ (المسلم هنا) وعلى رأسِهِ الخليفةُ المعتصمُ تلقى الخبرَ باهتمامٍ شديدٍ ولا شكّ أنّه ولدَ عندَه انفعالًا وتأثّرًا عاطفيًا عزّزه الشّعورُ بالمسؤوليّةِ واستشعارُ الخطرِ المحدّق بالأمّةِ والدّولةِ حتّى منْ هجومٍ بسيطٍ على ثغرٍ في أطرافِها، وجميعُنا يعلمُ يقينًا أنّ المعتصمَ لم يرفعْ أيّ شكوى إلى مجلسِ الأمنِ ولمْ يتّهمْ الرّومَ باستخدامِ العنفِ المفرطِ ولمْ يطلبْ منهُم ضبطَ النّفسِ ولمْ يُرسِلْ لجانًا للتّحقيق ولا سوى ذلكَ منَ المُمارساتِ العبثيّةِ الّتي لا تدلّ إلّا على العجزِ والضّعفِ والخُنوعِ، بل تَلا ذلكَ ما تلاهُ من حشدٍ لجيشٍ جرّارٍ لا شكّ عندي أنّه ترافَقَ بحشدٍ للهممِ وبثٍّ لروحِ الجهادِ والدّفاعِ عنِ الحُرُماتِ والمقدّساتِ، ثمّ ما ترتّبَ على ذلكَ من تطوّراتٍ أدّتْ في نهايتِها إلى تحريرِ عموريّةَ وما يذكر من تحريرِ الامرأةِ الّتي سُبيَت وسُجِنَتْ ونادَت "وامعتَصِماه".

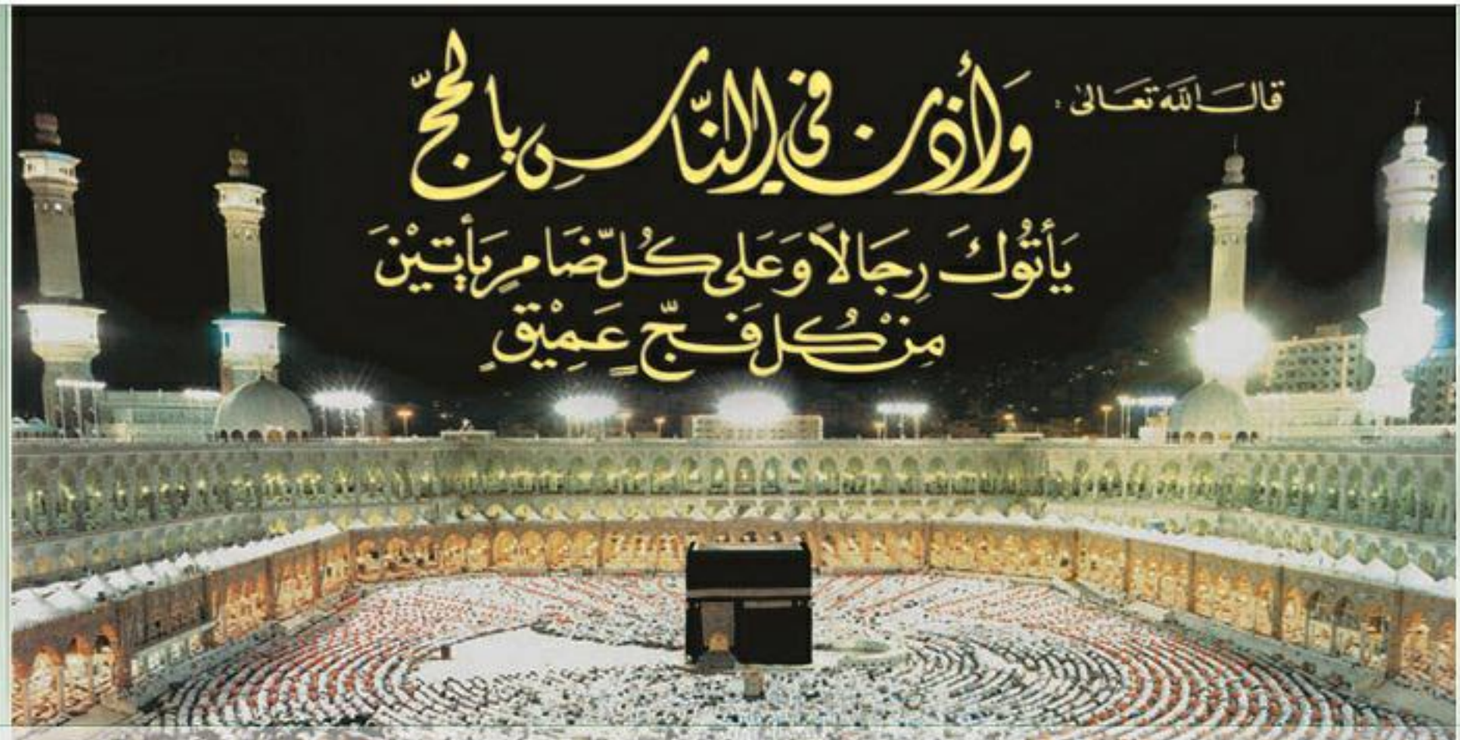

ملخص "مناسك الحج والعمرة"

عبد الرّحيم صابر

تلخيصٌ ممّا كتبه الشّيخُ الألبانيّ رحمه اللهُ في المناسكِ

أوّلُ ما يبدأ به الحاجُّ لبيتِ اللهِ الحرامِ أنْ يغتسلَ ويتطيّبَ إلّا النّساء فلا يتطيّبن [هذا قبلَ الإحرامِ من الميقاتِ أمّا بعدَه فيحرمُ الطيب] ثمّ يلبس لباسَ الإحرامِ ولو من البيتِ [يلبسُ ما شاءَ من الألبسةِ الّتي لمْ تفصّلْ على قدرِ الأعضاءِ ولا يلبسُ القلنسوةَ ولا العمامةَ ولا كلّ ما يسترُ الرّأسَ مباشرةً هذا للرّجلِ أمّا المرأة فلا تنزع من لباسِها المشروع شيئًا إلّا أنّها لا تشدّ النّقابَ على وجهها ولا تلبس القفّاز] لكنّه لا يحرم إلّا قبلَ الميقاتِ بيسيرٍ فيلبّي قاصدًا للإحرامِ مستقبلَ القبلةِ قائمًا ويقولُ " لبّيكَ اللهمّ عمرةً " . " اللهمّ هذه حجّة لا رياءَ فيها ولا سمعة " . " لبّيكَ اللهمّ لبّيك. لبّيكَ لا شريكَ لكَ لبّيكَ إنّ الحمدَ والنّعمةَ لكَ والملكَ لا شريكَ لكَ " . " لبّيكَ إله الحقّ " . " لبّيكَ ذا المعارج لبّيك ذا الفواضل " . [لبّيكَ وسعديكَ والخير بيديكَ والرّغباء إليكَ والعمل] ويلبّي رافعًا صوتَه [والنّساءُ كذلكَ ما لمْ يخشَ الفتنة] وتتأكّد التّلبيةُ كلّما علا شرفًا أو هبطَ واديًا ويجوزُ خلطها بالتّهليل ثمّ يبقى المحرمُ على تلبيتِه حتّى يرى بيوتَ مكّة فيمسكُ فإذا أرادَ دخولَ مكّة اغتسلَ إنْ تيسّرَ [لدخولِها] ودخلَ نهارًا منَ النّاحيةِ العُليا الّتي فيها اليوم بابُ المعلاةِ إذا تيسّرَ ويقدّم رجلَه اليمنى قائلًا: " اللهمّ صلِّ على محمّدٍ وسلّم اللهمّ افتحْ لي أبوابَ رحمتِك". أو يقول:" أعوذُ باللهِ العظيمِ وبوجهه الكريمِ وسلطانِه القديمِ منَ الشّيطانِ الرّجيمِ". فإذا رأى البيتَ له أن يدعوَ بدعاءِ عمرَ[اللهمّ أنتَ السّلامُ ومنكَ السّلامُ فحيّنا ربّنا بالسّلام]. [وليسَ لدخولِ المسجدِ الحرامِ تحيّة إنّما تحيّته الطّوافُ والصّلاةُ بعده عند المقام] ثمّ يبادرُ إلى الحجرِ الأسودِ يستقبلُه ويسمّي ويكبّر ويستلمُه بيدِه ثمّ يقبّله ويسجدُ عليهِ فإنْ لمْ يمكنه أشارَ إليهِ ولا يزاحمُ عليهِ ويفعلُ ذلكَ في طوفة [أمّا الرّكن اليمانيّ فله استلامه إذا تيسّر وإلّا فلا شيءَ فيهِ غير استلامِه أمّا الرّكنين الشّاميّين فليسَ فيهما شيء] جاعلًا الكعبة عن يساره، ويطوفُ من وراءِ الحِجْرِ سبعةَ أشواطٍ [منَ الحَجَرِ إلى الحَجَرِ شوط] يضطبعُ فيها كلّها [أي يدخل الرّداءَ من تحتِ إبطِه الأيمن ويردّ طرفه على يساره ويُبدي منكبَه الأيمنَ ويغطّي الأيسرَ, وهو بدعة قبلَ الطّوافِ وبعدَه] ويرملُ في الثّلاثةِ الأشواطِ الأولى, ويمشي في سائرها ويدعو بما شاءَ ويقرأ منَ القرآن ما شاءَ أو الذّكر ما شاءَ [وليسَ على الحائضِ طوافٌ] فإذا انتهى منَ الطّوافِ يغطّي كتفه الأيمنَ وينطلقُ إلى مقامِ إبراهيمَ ويقرأ "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" (البقرة: ١٢٥) ويجعله بينه وبينَ البيتِ ويصلّي ركعتين يقرأ فيهما "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون" و"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد" بعدَ إكمالِه الصلاة يذهبُ إلى ماءِ زمزم يشربُ منه ويصبّ على رأسِه ويرجع إلى الحجر الأسودِ فيفعلُ كما تقدّم ثمّ يعودُ ليسعى بينَ الصّفا والمروة, فإذا اقتربَ منَ الصّفا قرأ: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ" (البقرة: ١٥٨) ويقول: نبدأ بما بدأ اللهُ بهِ, فيبدأ بالصّفا يرتقي عليها حتّى يرى الكعبة فيستقبلها ويقولُ " لا إله إلا الله, الله أكبر, الله أكبر, الله أكبر, لا إله إلا الله, وحده لا شريك له, له الملكُ, وله الحمدُ, يحيي ويميتُ, وهو على كلّ شيءٍ قدير, لا إله إلا الله, وحده لا شريكَ له, أنجز وعدَه, ونصر عبدَه, وهزمَ الأحزابَ وحدَه. " يقولُه ثلاثًا ويدعو بين التّهليلاتِ بما فيهِ خيرُ الدّنيا والآخرةِ ثمّ ينزل ماشيًا إلى العلم الموضوع عن اليمين واليسار وهو الميلُ الأخضرُ فيسعى منه سعيًا شديدًا إلى الآخر بعدَه [أمّا النّساء فلا رمل عليهن إلّا إنْ تيسّرَ] ثمّ يمشي حتّى يأتي المروة فيرتقي على الصّفا يمشي موضعَ المشي ويسعى موضعَ السّعي, وهذا شوط ثانٍ, ثمّ يعودُ إلى المروة وهكذا حتّى يكملَ سبعةَ أشواطٍ يكونُ آخرها على المروة ويدعو إن شاءَ قائلًا في السّعي: " ربّ اغفرْ وارحمْ إنّكَ أنتَ الأعزّ الأكرم " ثمّ بعدَ انتهائِه من الأشواطِ كلّها يقصّ شعرَ رأسِه [أو يحلقه إذا كانت بينَ عمرتِه وحجّه فترةٌ كافيةٌ يطولُ خلالها الشّعرُ] وبذلك تنتهي العمرةُ وحلّ لهُ ما حَرُمَ عليه بالإحرامِ ويمكثُ هكذا حلالًا إلى يومِ التّرويةِ, وهو الثّامن من ذي الحجّةِ, فإذا كانَ يوم التّروية أحرمَ وأهلّ للحجّ [من الموضعِ الّذي هوَ فيهِ] فيفعل كما فعلَ آنفًا [عندَ الإحرامِ منَ الاغتسالِ والتطيّبِ ولبس الإزارِ والرّداءِ] إلّا التلبية فإنّه لا يقطعها إلا عقبَ رمي جمرة العقبةِ كما سيأتي. ثمّ يذهبُ إلى منى يصلّي فيها الظّهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ قصرًا دونَ جمع, ويبيتُ بهَا حتّى يصلّي الفجرَ, فإذا طلعت شمسُ يومِ

عرفة ينطلقُ إلى عرفة وهو يلبّي أو يكبّر حتّى يبلغَ عرفة [وينزل قبلها بنمرة إلى أنْ تزولَ الشّمسُ, ثمّ يرحل إلى عرفة ينزلُ بها ويصلّي الظّهرَ والعصرَ قصرًا وجمعًا في وقتِ الظّهر بأذانٍ واحدٍ وإقامتين لا يصلّي بينهما شيئًا, وهذان النّزولان المذكوران يتعذّران الآن لشدّةِ الزّحام فلا حرجَ في تركِهما] فيقف عندَ الصّخرات [أسفلَ جبل الرّحمةِ] إنْ تيسّرَ وإلّا فعرفة كلّها موقف, ويقف مستقبلَ القبلة رافعًا يديهِ يدعو ويلبّي, ويكثر فيه من قول " لا إله إلا الله, وحده لا شريك له, له الملك, وله الحمد, وهو على كلّ شيءٍ قدير" ويزيد في التّلبيةِ إن شاء" إنّما الخيرُ خيرُ الآخرةِ " وعلى الواقفِ بعرفةَ ألّا يصومَ هذا اليوم. ويبقى هكذا إلى أنْ تغربَ الشّمس - ملبّيًا ذاكرًا داعيًا بما شاء, راجيًا من الله تعالى أن يجعلَه من عتقائِه منَ النّار - فإذا غربَتِ الشّمسُ أفاضَ من عرفات إلى المزدلفةِ بسكينةٍ وهدوءٍ حتّى إذا وصلها يؤذّن ويصلّي المغربَ ثلاثًا ثمّ يقيمُ ويصلّي العشاءَ قصرًا يجمعُ بينهما [ويجوز أنْ يفصلَ بينهما لحاجة ولا يصلّي بينهما ولا بعدَ العشاءِ شيئًا] ثمّ يبيت بها حتّى يصلّي الفجرَ [إلّا الضّعفة والمساكين فيجوزُ لهم الانطلاق منها بعدَ نصفِ اللّيل خشية حطمةِ النّاس] فيأتي المشعرَ الحرامَ [وهو جبلٌ في المزدلفةِ] ويرقى عليه, والمزدلفةُ كلّها موقفٌ, ويستقبل القبلة فيحمدُ اللهَ ويكبّره ويهلّله ويوحّده ويدعو حتّى قبيلَ طلوع الشّمس ينطلقُ إلى منى بسكينةٍ وهو يلبّي ثمّ إنْ أمكنَه في بطنِ مُحَسِّر الإسراعَ أسرعَ [وبطنُ مُحَسِّر من منى] ثمّ يسلك الطّريقَ الوسطى الّتي تخرجُه على الجمرةِ الكُبرى [وهي جمرةُ العقبةِ وهي آخر الجمراتِ وأقربهنّ إلى مكّة] ويلتقط حصى الجمراتِ من منى فإذا وصلها يستقبلها جاعلًا مكّة عن يساره ومنى عن يمينِه ويرميها بعدَ طلوعِ الشّمس [أو بعدَ الزوال ولو إلى اللّيل إنْ كانَ حرج في رميها قبلَ الزّوال] بسبع حصياتٍ [مثل حصى الخذفِ وهيَ أكبرُ من الحمّصة قليلًا] يكبّر معَ كلّ حصاةٍ قاطعًا التّلبية مع آخر حصاةٍ [واعلم أنّ رميَ الجمرةِ لأهل الموسم بمنزلةِ صلاةِ العيدِ لغيرهم] فإذا انتهى من رمي الجمرةِ حلّ له كلّ شيء إلّا النّساء ولو لمْ ينحرْ أو يحلق فإذا طافَ طوافَ الإفاضةِ في اليوم نفسِه استمرّ في هذا التمتّع. وإذا أمسى ولم يطفْ عادَ محرمًا كما كانَ قبلَ الرّمي, ثمّ ينحر في أيّ مكانٍ من منى أو مكّة, ويذبح بنفسِه إنْ تيسّرَ مستقبلًا بها القبلة يضجعها على جانبها الأيسر, ويضعُ قدمَه على صفحتِها ويقولُ " بسم الله, والله أكبر, اللهمّ إن هذا منكَ ولكَ اللهمّ تقبّلْ منّي" [وأيّام الذّبح أربعةٌ: يومُ النّحر, وأيّام التّشريق بعدَه وهيَ ثلاثةُ أيّامٍ. وله الأكل من هديه والتزوّد منه إلى بلدِه وعليهِ أنْ يطعمَ منه الفقراءَ وذوي الحاجةِ ويجوزُ اشتراكُ سبعة في البعيرِ وفي البقرةِ ومنْ لمْ يجدْ هديًا فعليهِ صيامُ ثلاثةِ أيّامٍ في الحجّ وسبعة إذا رجعَ إلى أهلِه وله أنْ يصومَ الثّلاثةَ أيّام في أيّامِ التّشريق] ثمّ يحلق رأسَه كلّه ويبدأ الحالق بيمين المحلوق [أمّا النّساء فليسَ عليهنّ حلقٌ وإنّما عليهنّ التّقصير بأنْ تجمعَ شعرَ رأسِها فتقصّ منهُ قدرَ الأنملةِ] ثمّ يفيضُ من يومِه إلى البيتِ فيطوفُ به سبعًا [كما تقدّم في طوافِ القدومِ] بلا اضطباع ولا رملٍ, ويصلّي ركعتين عندَ المقام, ثمّ يسعى بينَ الصّفا والمروة, كما تقدّم, وبهذا الطّواف يحلّ له كلّ شيءٍ حرّمَ عليه حتّى النّساء, ثمّ يصلّي الظّهرَ بمكّةَ ويأتي زمزمَ يشرب منها, ثمّ يرجع إلى منى يمكث بها أيّام التّشريق بلياليها ويرمي فيها الجمرات الثّلاث كلّ يومٍ بعدَ الزّوال بسبع حصياتٍ لكلّ جمرةٍ, كما تقدّم, ويبدأ بالجمرةِ الأولى فإذا فرغَ منها يتقدّم قليلًا عن يمينِه ويقوم مستقبلَ القبلة قيامًا طويلًا ويدعو ويرفع يديه, ثمّ يأتي الجمرةَ الثانية فيفعل بها كالأولى غير أنّه يأخذ ذاتَ الشّمال, ثمّ يأتي الثّالثة وهي جمرة العقبة فيرميها، جاعلًا البيت عن يساره ومنى عن يمينِه ولا يستقبل القبلة، ولا يقف عندَها خلافًا للأولى والثّانية، ثمّ يرمي اليوم الثّاني والثّالث. وإذا انصرفَ بعدَ رميه في اليوم الثّاني قبلَ غروبِ الشّمس ولمْ يبتْ للرّمي في اليوم الثّالث جازَ. لكن الأفضل هوَ التأخّر للرّمي. فإذا انتهى من قضاءِ حوائجِه وعزمَ على الرّحيل فعليه أنْ يودّعَ البيتِ بالطّوافِ وله أن يحملَ معَه ماءَ زمزم ما تيسّرَ له فإذا انتهى من الطّوافِ خرجَ كما يخرجُ النّاسُ منَ المساجدِ - فلا يمشي القهقرى - ويخرج مقدّمًا رجلَه اليسرى قائلًا: اللهمّ صلّ على محمّدٍ وسلّم اللهمّ إنّي أسألك منْ فضلِكَ .

إنّه ينادينا

د. عثمان قدري مكانسي

يقولُ تعالى في سورةِ الأنفال: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥)"

الخطاب للمؤمنين (الّذين آمنوا باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ رسولًا) وأذكر أنَّ (يا أيّها الّذينَ آمنوا) وردتْ في القرآنِ الكريمِ أكثر من ثلاثٍ وثمانينَ مرّةً يخاطبُ اللهُ تعالى بها عبادَه معلّمًا ومربّيًا وهاديًا ومبشّرًا ومنذرًا ... تلتها (إذا) الدّالّة على المستقبلِ، ولا شكّ أنّ الحربَ بينَ الإيمانِ والكفرِ قائمةٌ على مرِّ العصورِ وكرِّ الدّهورِ: كلماتٍ ومواقفَ وتحدّياتٍ ومعارك. كلٌّ يسعى لكسبِ المعركةِ وإثباتِ ذاتِه وفرضِ رؤيتِه.

ولا يلقى المؤمنونَ الكافرين في المعاركِ إلّا إذا شهدوها وخاضوا غمارَها وأعدّوا قبلَ ذلكَ العدّةَ المعنويّةَ وفيها خمسُ مراحل تحويها بوضوحٍ هذه الآيةُ الكريمةُ في سورةِ الأنفال: " يا أيّها الذينَ آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا، واذكروا اللهَ كثيرًا لعلّكم تفلحونَ، وأطيعوا اللهَ ورسولَه ولا تنازَعوا فتفشَلوا وتذهبَ ريحُكم، واصبروا؛ إنّ اللهَ معَ الصّابرينَ". والعدّة الماديّة في قولِه تعالى " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ .."

والزّحف الدنوُّ قليلًا قليلًا. وأصله الاندفاع، ثمّ سمّي كلّ ماشٍ في الحربِ إلى آخَرٍ زاحفًا. والزّحفُ إصرارٌ وعزمٌ، فإذا كانَ الكافرُ – على باطلِه– عازمًا على فرضِ سيطرتِه، يُعِدُّ العُدّةَ لقتالِ أهلِ الحقّ، كان أولى بأهلِ الحقّ أنْ يكونوا أشدّ عزمًا وإصرارًا، فأولئك يقاتلون لدنيا فقط، والمؤمنون يقاتلون لها وللآخرةِ، وفي كلتيهما الفوزُ والسّيادةُ وتولية الأدبارِ علامة التّقهقرِ والخذلانِ، وهذا ليسَ من سماتِ المؤمنِ الّذي يرى الدّنيا سبيلًا إلى الحياةِ الأبديّةِ الخالدةِ، ولا يولّي دبُرَه إلّا ضعيفُ الإيمانِ الّذي يرى الحياةَ الدّنيا حياتَه ونعيمَه، ولا يولّي دبُرَه إلّا من انشغلَ بمتاعِ الدّنيا الزّائلِ فعاشَ لها وأنِسَ إليها، فذابَ من أوّلِ اختبارٍ وأسلمَ ساقيهِ للرّيحِ أمامَ لذّاتِه وسلّمَ لعدوّهِ صاغرًا ورضيَ بالتبعيّةِ لهُ، ولعلّه في سبيلِ هذا ينحازُ إليهِ ضدّ إخوانه منَ المسلمين فيبوءُ بغضبِ اللهِ وسوءِ المصيرِ.

والعبارة بـ(الدّبُر) في هذهِ الآيةِ متمكّنة الفصاحةِ؛ لأنّها بشعة على الفارِّ ذامّة له. فمن فرَّ من اثنين فهو فارٌّ من الزّحفِ. ومن فرّ من ثلاثةٍ فليسَ بفارٍّ من الزّحفِ، ولا يتوجّه عليهِ الوعيد كما يؤكّده الفقهاءُ، والفرارُ كبيرةٌ موبقةٌ بظاهرِ القرآنِ وإجماعِ أكثر الأئمّةِ. فإذا كان في مقابلةِ مسلمٍ أكثر من اثنين جازَ الانهزامُ، والصّبر أحسنُ. فقد وقف جيشُ مؤتة وهم ثلاثةُ آلافٍ في مقابلةِ مائتي ألف، منهم مائةُ ألفٍ من الرّوم، ومائةُ ألفٍ من المستعربةِ.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ – وفيه – والتولّي يومَ الزّحفِ) وقد ذكر القرآنُ الكريمُ فسحةَ الإدبارِ في المناورةِ والمداورةِ أو الانحيازِ إلى فئةٍ مسلمةٍ يتقوّى بها وتشدّ أزرَه، أمّا أن يُطلِقَ ساقيهِ للرّيحِ فمسبّةٌ وعارٌ في الدّنيا، ولقاءٌ عسيرٌ يومَ القيامةِ فيهِ غضبُ الديّانِ الّذي يقذفُ صاحبَه في النّارِ، والعياذُ باللهِ: " وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى؟ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ؟ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)

إنّ اللهَ سبحانَه وتعالى يوضّحُ سببَ وجوبِ ثباتِ المسلمينَ أمامَ العدوِّ بأنّهم ستارٌ لقدرةِ اللهِ تعالى وإرادتِه وأنّ النّصرَ من عندِه، فالمسلمُ حينَ يقتل العدوَّ فالقاتلُ هو اللهُ، وحين يرمي فيصيبُ إنّ الصائبَ هو اللهُ، واللهُ غالبٌ على أمرِه" فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـ؟كِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ؟ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـ؟كِنَّ اللَّهَ رَمَى؟ ؟....

فالمسلمُ يقاتلُ ويسألُ اللهَ الثّباتَ، ويرمي ويسأله السّدادَ، ويرمي بنفسه في أتونِ الموتِ ويسأل اللهَ الشّهادةَ والقبولَ. ولا يستطيعُ هذا الإقبالَ الرائعَ إلّا المؤمنُ الّذي شرى نفسَه ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ، فربحَ رضاهُ والجنّةَ وهذا هو البلاءُ الحسنُ الّذي ينجحُ فيه منْ أخلصَ للهِ تعالى " وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ؟ ...."

ويعجبني قولُ القاسمِ يعلّق على الثّباتِ في المعركةِ والصّبرِ عليها (لا تجوزُ شهادةُ من فرَّ منَ الزّحفِ، ولا يجوزُ لهم الفرار وإن فرَّ إمامُهُم) .. إنّنا في ثورتِنا ضدّ الإجرامِ الكافرِ والظّلمِ القاهرِ في سورية الحبيبة أهل حق ودعاةُ حرّيّة ، فإذا أردنا النّصرَ سعينا له بكلّ ما استطعْنا من مالٍ ورجالٍ وإعلامٍ سديدٍ موَجّهٍ وعتادٍ و... ولينصُرَنّ اللهُ من ينصرُه...

إنّه – سبحانه– يناديا ، ، ، ، ، فهل سمعنا النّداءَ؟

أحج روحاً

الدكتور سمير العسري

مِنْ رَجْفَةِ الـــشَّوق فِي الأجفـــان لَمْ أَنَمِ ... أقلّبُ الـــطَّرْفَ بَيـــنَ الـــسُّهْدِ وَالـــسَّجَمِ
ظَمْآنَ أطْمَعُ فِي إنْجَازِ مَا وَعَدَتْ ... حَيـــرَانَ أسْمَعُ فِي هَمْسِ الـــهَوَى سَدَمِي
مـــلأت رَوْضَكِ يَا بِنْتَ الرَّبِيـــع شَذًا ... فَهَلْ سَفَحْتِ عَلَى خَدِّ الـــوُرُودِ دَمِي
وَهَلْ صَبَبْتِ لأوراق الخَرِيـــف صِبًا ... أعَادَ قَلْبَ الـــفَتَى مِنْ سَطْوَةِ الـــهَرَمِ
وَهَلْ أصَابَكِ مِنْ هَارُوتَ فِتْنَتُهُ ... حَتَّى سُحِرتُ بِحُسْنِ الـــجِسْمِ وَالـــشِّيَمِ
فَمَا تُمَدُّ إلَى غَيْرِ الـــدُّعَاءِ يَدِي ... وَلَيـــسَ تَتْبَعُ إلا بالـــرِّضَا قَدَمِي
وَلَيـــسَ تُبْصِرُ إلا الـــمُجْتَبَى مُقلِي ... وَلَيـــسَ يَنْطِـــقُ إلا بالـــثَنَاءِ فَمِي
يَا سَاهِمَ الـــطَّرْفِ تَرْجُو الـــوَصْلَ مَنْ بَخِلَتْ ... بِهِ عَلَيـــكَ أمَا لِلـــشَّوق مِنْ سَأمِ
حَسْبُ الـــفُؤَادِ ذُهـــولا أنْ يَذُوبَ أسًى ... بالسَّا دِرَاتِ وَأنْ يَلْتَذَّ بـــالألم
كَأنَّمَا الـــصَّبْرُ صَابٌ وَالـــجَوَى وَصَبٌ ... وَالـــذِّكْرَيَاتُ بَقَايَا الـــسُّمِّ وَالـــدَّسَمِ
وَبِي مِنَ الـــوَجْدِ مَا يَذْوِي الـــوُجُودُ بِهِ ... مِنَ الحَنِيـــنِ وَمَا يُوهِي مِنَ الـــسَّقَمِ
أغَالِبُ الـــدَّمْعَ فِي أجْفَانِ مُحْتَشِمٍ ... وَأكْتُمُ الـــحُزْنَ فِي وجْدَانِ مُبْتَسِمِ
لَمَّا شَدَدْتِ بِلَحْظٍ قُلْتُ يَا كَبِدِي ... أصِبْتُ قَبْلَكِ مِنْ سَهْمٍ عَلَيـــكِ رُمِي
أخِذْتَ مِنْ حَيـــثُ لا قَاعٌ تَلُوذُ بِهِ ... مِنَ الـــعُيُونِ وَلا تَقْوَى إلَى عَلَمِ
يَا وَيْحَ نَفْسِكَ قَدْ أوْرَدْتَهَا تَلَفًا ... وَبَاتَ أمْرُكَ بَيـــنَ الـــصَّرْمِ وَالـــصَّلَمِ
فَمَا انْقَلَبْتَ عَلَى هِنْدٍ بِذِي حَرَضٍ ... وَلا سَلِمْتَ إلَى سَلْمَى بِذِي سَلَمِ
وَلا لَقِيـــتَ مِنَ الآرَامِ سَانِحَةً ... وَلا بَقِيـــتَ عَزِيـــزَ الـــجَنْبِ فِي الأجَمِ
لا كُنْتَ يَا قَلْبُ إنْ أصْبَتْكَ غَانِيَةٌ ... فَكَمْ مِنَ الـــعِشْقِ قَدْ أفْضَى إلَى الـــنَّدَمِ
مَحَضْتُكَ الـــصِّدْقَ وَالأيَّـــام فِي كَذِبٍ ... وَعِشْتُكَ الحَقَّ وَالأحـــلام فِي بَكَمِ
وَصُنْتُ قَدْرَكَ عَنْ جَهْلٍ وَعَنْ زَلَلٍ ... فَهَلْ سَتَعْصِي لِسَانَ الـــنُّصْحِ إنْ يَلُمِ
يَا غَافِلًا عَنْ سَبِيـــلِ الـــحَقِّ مُنْشَغِلًا ... بِالـــمُلْهِيَاتِ مِنَ الأوطَـــار وَالـــنَّغَمِ
قِيـــثَارَةُ الـــرُّوحِ نَاجَتْ مُهْجَتِي فَسَجَتْ ... وَانْسَابَ فِيـــهَا الـــهُدَى كَالـــنُّورِ فِي الـــظُّلَمِ
قَدْ كُنْتُ مُتَّهِمًا صَرْفَ الـــزَّمَانِ وَقَدْ ... ظَنَنْتُ أنِّي بِصَرْفِي غَيـــرُ مُتَّهَمِ
حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى قَبْرٍ وُعِظْتُ بِهِ ... وَلَيـــسَ أوْقَعَ مِنْ وَعْظٍ عَلَى الـــرَّجُمِ
هِيَ الـــحَيَاةُ سَرَابٌ لا رَوَاءَ بِهَا ... وَلَوْ حَبَتْكَ كُنُوزَ الـــدُّرِ وَالـــحَشَمِ
لَذِيـــذُ عَيْشِكَ مَهْمَا طَالَ لَيـــسَ لَهُ ... إلّا الـــفَنَاءُ وَمَهْمَا طَابَ كَالـــحُلُمِ
تَجْرِي عَلَيكَ يَدُ الأقـــدار نَافِذَةً ... فِي صَفْحَةِ الـــلَّوْحِ مِمَّا خُطَّ بِالـــقَلَمِ
وَكُلُّ خَفْقَةِ قَلْبٍ فِيـــكَ تَسْمَعُهَا ... يَسْرِي بِكَ الـــمَوْتُ مَسْرَى الـــرُّوحِ فِي الأدَمِ
كَمْ ظَنَّ قَبْلَكَ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ مَلِكٍ ... بِأنْ تَدُومَ لَهُ الـــدُّنْيَا فَلَمْ تَدُمِ
مَضَوا عَلَى الـــدَّهْرِ وَالآثَارُ فِي عَدَمٍ ... وَغَايَةُ الـــخَلْقِ وَالأيَّـــامِ لِلـــعَدَمِ
فَهَلْ ضَمِنْتَ مِنَ الأيَّـــام مِنْ دَعَةٍ ... وَهَلْ أمِنْتَ أذَى مِنْ سَيْلِهَا الـــعَرِمِ
غَوْلُ الـــحَوَادِثِ إنْ خَانَتْكَ تَجْرِبَةٌ ... أمْضَى مِنَ الـــسَّيْفِ فِي الـــهَامَاتِ وَالـــهِمَمِ
وَرُبَّ حَالٍ يُرِيـــكَ الـــدَّهْرُ نِعْمَتَهَا ... وَفِي لُبَابَتِهَا ضَرْبٌ مِنَ الـــنِّقَمِ
يَا مَنْ يُسَوِّفُ عِنْدَ اللهِ تَوْبَتَهُ ... احْذَرْ فَإنَّ رَسُولَ الـــمَوْتِ غَيـــرُ عَمِي
مَاذَا تَقُولُ لِرَبٍّ جِئْتَهُ ثَمِلًا ... وَلَمْ تُصَلِّ لَهُ يَوْمًا وَلَمْ تَصُمِ
مَاذَا تَقُولُ وَعَيـــنُ الـــذُّلِّ صَاغِرَةٌ ... وَفُوكَ يُخْتَمُ لا يَقْوَى عَلَى الـــكَلِمِ

فَدَعْ غُرُورَكَ بالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ... وَعُدْ لِرَبِّكَ بالطَّاعَاتِ وَاسْتَقِمِ
نَادَى المُنَادِي إِلَى دَرْبِ الهُدَى سُبُلًا ... وَأَذَّنَ الحَجُّ فِي أُمِّ القُرَى فَقُمِ
الحَجُّ فَرْضٌ عَلَى التَّعْجِيلِ يَعْمُرُهُ ... مَنِ اسْتَطَاعَ وَلَيْسَ الحَجُّ فِي الهَرَمِ
بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الآفَاقِ قَدْ صَدَحَتْ ... بِرَحْمَةِ اللهِ فَاسْعَ اليَومَ وَاغْتَنِمِ
بَطْحَاءَ مَكَّةَ يَا خَيْرَ البِلَادِ لَهَا ... طُهْرًا تَشُوقُ قُلُوبُ الجِنِّ وَالنَّسَمِ
سُبْحَانَكَ اللهُ كَمْ أُولَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... وَكَانَ بَيْتُكَ فِينَا أَكْرَمَ النِّعَمِ
جَعَلْتَ أَفْئِدَةً تَهْوِي إِلَيْهِ بِهَا ... تُجِيبُ دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ فِي القِدَمِ
حَتَّى أَتَاهُ مِنَ الآفَاقِ مَنْ رَكِبَتْ ... عَلَى سَنَامٍ وَمَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
فِي رِحْلَةِ العُمْرِ يَسْعَى القَوْمُ فِي عَجَلٍ ... بِالضَّامِرَاتِ وَيَسْعَى اللهُ بِالرَّحِمِ
لَمَّا وَصَلْتُ إِلَى المِيقَاتِ أَدْرَكَنِي ... مِنَ التَّضَرُّعِ مَا أَدْرَكْتُ مِنْ ضَرَمِ
خَلَعْتُ عَنِّي ثِيَابَ الزَّيْفِ مُغْتَسِلًا ... مِنَ الذُّنُوبِ وَمَا فِي القَلْبِ مِنْ سَخَمِ
نَظَرْتُ حَولِي فَكَانَ النَّاسُ فِي حُرُمٍ ... وَقَدْ تَسَاوَى ذَوُو التِّيجَانِ بِالخَدَمِ
لَبَّيْكَ حَجًّا لَكَ اللَّهُمَّ يَا أَحَدًا ... يَشْدُو بِهَا القَلْبُ فِي وَهْدٍ وَفِي أَكَمِ
لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لا رَبٌّ سِوَاكَ وَلا ... أَرْجُو سِوَاكَ رِضَا يَا عَامِرَ الكَرَمِ
لَبَّيْكَ حَمْدًا وَإِيمَانًا وَتَزْكِيَةً ... لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ فِي حِلٍّ وَفِي حَرَمِ
إِلَى رِحَابِكَ يَا رَحْمَنُ قَافِلَتِي ... فَلا تَكِلْنِي وَكُنْ لِي خَيْرَ مُعْتَصَمِ
أَتَيْتُ بَابَكَ أَرْجُو قِسْمَةً بِرِضًا ... وَمَنْ يُقِمْ عِنْدَ بَابِ اللهِ يَقْتَسِمِ
بَابَ السَّلامِ سَلامُ اللهِ أَمْهَرُهُ ... نَجْوَى الفُؤَادِ بِشَوقٍ غَيرِ مُنْفَصِمِ
مَا إِنْ دَلَفْتُ وَعَينُ الشَّوقِ خَاشِعَةٌ ... حَتَّى ذَرَفْتُ بِجَفْنٍ غَيرِ مُحْتَشِمِ
وَقَفْتُ فِي الصَّحْنِ لا سَاقٌ تُطِيعُ وَلا ... عَقْلٌ يَثُوبُ وَلا أُذْنٌ بِلا صَمَمِ
أَخَذْتُ فِي جُنُبَاتِ الطُّهْرِ مُنْصَدِعًا ... حَتَّى شَهَقْتُ بِصَوتٍ غَيرِ مُنْكَتِمِ
وَحَامَتِ الرُّوحُ بُشْرَى حَولَ كَعْبَتِهِ ... كَأَنَّ مِنِّي كَثِيرَ الشَّوقِ لَمْ يَحُمِ
لَو يَبْذُلُ الدَّهْرُ مِنْهُ الكَونَ حِينَئِذٍ ... لَمْ أَبْدِلِ الكَونَ بِالنَّشْوَى وَلَمْ أَسُمِ
أَدَرْتُ ذَاكِرَةَ التَّارِيخِ فِي خَلَدِي ... فِي السَّابِقَاتِ مِنَ الأَيَّامِ وَالأُمَمِ
هَذَا الخَلِيلُ يَؤُمُّ البَيتَ يَرْفَعُهُ ... مِنَ القَوَاعِدِ يَقْضِي الهَمَّ بِالتَّمَمِ
وَذَا المَقَامُ وَإِسْمَاعِيلُ فِي شَرَفٍ ... طَوْعَ الأُبُوَّةِ فِي ذَبْحٍ وَفِي وَأَمِ
وَتِي قُرَيشُ بِدَارِ النَّدْوَةِ اجْتَمَعَتْ ... مِنْ كُلِّ طَاغِيَةٍ فِي النَّاسِ مُحْتَكِمِ
هَذَا أَبُو لَهَبٍ تَبَّتْ يَدَاهُ طَغَى ... فِي النَّاسِ كِبْرًا وَأَحْنَى الرَّأْسَ لِلصَّنَمِ
هُنَا تَنَزَّلَ جِبْرِيلُ الأَمِينُ عَلَى ... خَيرِ البَرِيَّةِ فِي حُكْمٍ وَفِي شِيَمِ
هُنَا المُحَمَّدُ فَوقَ الشِّرْكِ بَدْرُ دُجًى ... يَهْدِي الوَرَى سُبُلًا مِنْ دِينِهِ القَيِّمِ
أَقَامَ دَولَةَ إِيمَانٍ وَمَعْرِفَةٍ ... وَطَهَّرَ البَيتَ مِنْ شِرْكٍ وَمِنْ وَخَمِ
هَذَا السَّبِيلُ فَسِرْ فِي إِثْرِ خَطْوَتِهِ ... بَينَ الجُمُوعِ وَهَذَا الرُّكْنُ فَاسْتَلِمِ
وَطُفْ كَمَا طَافَ تَدْعُو اللهَ مُبْتَهِلًا ... تَرْجُو الشَّفَاعَةَ ثُمَّ الحِجْرَ فَالْتَزِمِ
وَصَلِّ سُنَّتَهُ خَلْفَ المَقَامِ وَكُنْ ... فِي السَّاجِدِينَ لِرَبِّ النَّاسِ وَاسْتَهِمِ
وَإِنْ ظَمِئْتَ فَذِكْرُ اللهِ كَأْسُ نَدًى ... وَمَاءُ زَمْزَمَ تَروِي رِيقَ كُلِّ ظَمِي
ثُمَّ اسْعَ سَبْعًا وَلا تَبْخَلْ بِأَدْعِيَةٍ ... تَفُزْ بِمَا قُلْتَ لا فِيهَا وَمَا نَعَمِ
فَالجِسْمُ يَسْعَى إِلَيهَا مَرْوَةً وَصَفَا ... وَالرُّوحُ تَسْعَى إِلَى الرِّضْوَانِ وَالنِّعَمِ
وَفِي مِنًى تَلْتَقِي إِنْ شِئْتَ تَرْوِيَةً ... بِكُلِّ مُنْشَغِلٍ بِالذِّكْرِ مُنْسَجِمِ
وَسِرْ إِلَى عَرَفَاتِ اللهِ مُجْتَهِدًا ... وَتُبْ إِلَى اللهِ وَابْكِ النَّفْسَ مِنْ أَثَمِ
وَادْعُ الكَرِيمَ بِمَا تَرْجُو يُجِبْكَ بِهِ ... وَإِنْ سَأَلْتَ ذُرَى الفِرْدَوسِ لَمْ تُضَمِ
وَإِنْ نَفَرْتَ مَعَ الحُجَّاجِ صَوْبَ مِنًى ... فَكُنْ بِشَرْعِ الهُدَى لِلنَّاسِ فِي أَمَمِ
وَإِنْ رَجَمْتَ فَقَصِّرْ وَاتَّبِعْ سُبُلًا ... وَاحْلُلْ ثِيَابَكَ وَانْحَرْ فِدْيَةً بِدَمِ
فَإِنْ تَعَجَّلْتَ فِي يَومَينِ لا جَرَمٌ ... وَإِنْ تَأَخَّرْتَ فَامْكُثْ غَيرَ مُجْتَرَمِ

وَعُدْ لِمَكَّةَ طُفْ بالبَيتِ وَارْنُ لَهُ ... بالهَاطِلاتِ وَدَاعَ القطْرِ لِلدِّيَمِ
يَا رِحْلَةَ النُّورِ بالإيمَانِ مَا فتِئَتْ ... فِي كُلِّ عَامٍ لِقَاءَ الطُّهْرِ وَالسَّلَمِ
هُنَا الأُخُوَّةُ بالإسلامِ قدْ جَمَعَتْ ... كُلَّ الأحبةِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
هُنَا تَوَحَّدَتِ الآرَاءِ وَاعْتَصَمَتْ ... تَقْوَى القُلُوبِ بِحَبْلِ الوَاحِدِ الحَكَمِ
هَابَتْ عُرَاهَا حُشُودُ الكُفْرِ وَاحْتَزَبَتْ ... لِتَطْعَنَ الدِّينَ فِي المِنْهَاجِ وَالنُّظُمِ
قَالُوا الشَّعَائِرُ للأوثَانِ مَرْجِعُهَا ... وَفِي المَشَاعِرِ مَا يَعْصَى عَلَى الفَهمِ
وَقِيلَ كَيفَ يُرَى إبْلِيسُ تَرْجُمُهُ ... كُلُّ الجُمُوعِ وَرَغْمَ الرَّجْمِ لَمْ يَهِمِ
وَكَيفَ تَلْثِمُ شَيئًا ثُمَّ تَحْقِرُهُ ... وَكَيفَ تَزْعُمُ أنَّ الخَيْرَ فِي الخِيَمِ
خَابَ اللِئَامُ وَفِي البُهْتَانِ قدْ رُكِسُوا ... فَدِينُكَ الحَقُّ يَسْتَعْصِي عَلَى التُّهَمِ
هَلْ أدْرَكُوا القدرَ المَحْتُومَ هَلْ عَقِلُوا ... مَعْنَى الوَفَاءِ لِفَحْوَى العَهْدِ وَالذِّمَمِ
وَهَلْ أقَامُوا عَلَى دِينٍ لِيَحْتَقِرُوا ... شَرْعَ المُهَيمِنِ فِي قُدْسِيَّةِ القِيَمِ
إنَّا لَنَعْبُدُ رَبَّ العَرْشِ طَاعَتُهُ ... فَرْضٌ عَلَى العَبْدِ فِي فَهْمٍ وَفِي غَمَمِ
وَمَا الشَّعَائِرُ إلا مِنْ شَرِيعَتِهِ ... لِنَنْهَلَ العَفْوَ مِنْ نَبْعِ الهُدَى الشَّبِمِ
يَا أمَّةَ الحَقِّ عُودِي لِلهُدَى وَدَعِي ... أوْهَامَ مُحْتَفِلٍ بالَّلهْوِ مُحْتَدِمِ
فَلَيسَ غَيْرُ حِمَى الدَّيَّانِ يَحْفَظُكُمْ ... مِنْ عَجْزِ هِمَّةِ مَقْهُورٍ وَمِنْ وَصَمِ
لا يَأنَفُ الذُّلَّ إلا مَنْ يَقُومُ لَهُ ... وَلا يَفُوزُ بتَاجِ المَجْدِ غَيرُ كَمِي
وَالمَوْتُ أكْرَمُ للأحرارِ مِنْ دَعَةٍ ... تَسْقِي النُّفُوسَ شَرَابَ الذُّلِّ وَالرَّغَمِ
وَلَيسَ يَنْفَعُ للإنسانِ مَعْذِرَةً ... أنْ قَالَ كِدْتُ فَكَادَ الدَّهْرُ بالُّلجُمِ
ومن يُجَازِ الوَرَى بالشَّرِّ يُجْزَ بِهِ ... وَمَنْ يُوازِ بسِيمَا الخَيرِ يَتَّسِمِ
يَا رَبِّ إنَّ سَنَا الغُفْرَانِ غَايَتُنَا ... وَقَولُكَ الحَقُّ فَاغْفِرْ زَلَّةَ القَدَمِ
بَذَلْتُ نَفْسِي لَكَ الَّلهُمَّ مُحْتَسِبًا ... وَقَدْ خَفَضْتُ جَنَاحَ الذُّلِّ فَاحْتَكِمِ
أحُجُّ رُوحًا وَفِي الرِّضْوَانِ لِي أمَلٌ ... فَاقْبَلْ دُعَائِي مَعَ الحُجَّاجِ فِي الحَرَمِ
وَارْفَعْ مَقَامِي بِمَا أسْدَيتَ مِنْ نِعَمٍ ... بَيْنَ الخَلائِقِ وَاكْتُبْ حُسْنَ مُخْتَتَمِ

أيّامٌ

مصطفى حمزة

رجعتْ بذاكرَتِها .. إنّها بدأتْ تشعرُ بابتعادِهِ عنها بالضّبط منذُ عشر سنين، من صباح احتفالِهِ بعيدِ ميلادِهِ الخامس والأربعين! صباحَ ذلكَ اليوم لمْ تكنْ نظراتُه إليها ببريقِها المعهودِ، ولم يكنْ - كعادتِهِ - يَصْفِرُ ويدندنُ أغنيتَه المفضّلةَ وهو يتأمّلُ وجهَها الرّائقَ الصّافي، وحين غادرَها مُقطّبًا لم يغمزْ لها بعينِه كما عوّدها منذُ أنْ دخلتْ بيتَه! ثمّ زادَ إهمالُه لها معَ الأيّامِ، فكانَ يُطِلّ عليها مرّةً كلّ يومٍ، ثمّ مرّةً كلّ يومين، ثمّ انتهى بهِ الأمرُ إلى ما يُشبهُ الهجران! وكانتْ تراقبُ عنْ بعدٍ سوادَ رأسِهِ ولحيتِهِ وهو يستشري به البياضُ يومًا بعدَ يومٍ، ثمّ وهو يتساقطُ شعر رأسِه كندف الثّلج ليتحوّلَ رأسُه إلى صحراءَ يسطعُ من صفحتِها السّرابُ! كانت تراقب ذلكَ بأسفٍ وأسىً، وصمتٍ! واليومَ بعدَ أن حاقَ بها الصّدأُ، وجلّلها الغُبارُ، فإنّ جلّ ما تتمنى من جميلِها القديمِ أنْ يُلقيَ إليها بنظرةٍ عابرةٍ، وهو يُغادِرُها إلى صلاةِ الفجر!

نهضة أم طفرة ؟

عبد الصّمد زيبار

يقدّم المفكّرُ والفيلسوفُ الفرنسيّ – روجي كارودي – في كتابِهِ – كيفَ يصيرُ الرّجلُ إنسانًا؟– مقارنةً لمعنى التّغييرِ والتحوّلِ في علمِ الأحياءِ، وفي تاريخِ المجتمعاتِ، حيثُ يقولُ: " المتحوّلُ" في علمِ الأحياءِ مسمّى لفردٍ يحملُ ميّزاتٍ تختلفُ عن مجموعتِه، فهو يعيشُ إضافةً مغايرةً لنوعِه عبرَ ما يسمّى بالطّفرةِ.

قياسًا عليهِ يمكنُ أن نسمّيَ "المتحوّل" في تاريخِ المجتمعاتِ فردًا كان أم مجموعةَ أفرادٍ، يحملونَ لأنفسِهم مشروعًا جديدًا بخططٍ اقتصاديّةٍ اجتماعيّةٍ وثقافيّةٍ، ويهيّئون "لطفرةٍ تاريخيّةٍ".

ويضيف أنّ هذه "الطّفرة التاريخيّة" أحيانًا تسمّى " النّهضة " ويقول أنّ هذا لا يقدّم المعنى الصّحيحَ لمفهومِ وشروطِ النّهضةِ.

فالنّهضةُ عندَ كارودي ليست أبدًا موجةً أو ثورةً من العنفِ، أو تغييرًا بسيطًا في مواقعِ وشخوصِ السّلطةِ والإدارةِ, النّهضة عنده تغييرٌ في كلّ حياةِ النّاس، وهي انقلابٌ في حياةِ الفردِ، وهذا يعني أنّها تغييرٌ جذريّ للغاياتِ والنّهاياتِ, للقيمِ,لمعنى الحياةِ وللتّاريخ.

إذًا فمعالم النّهضةِ عند كارودي تتحدّد في: رسمِ الغاياتِ، وبناءِ القيمِ، وصياغةِ معنى الحياةِ، وتصحيحِ النّظرةِ للتّاريخِ.

وهذا من صميمِ منهجِ كارودي المعتمد أساسًا على المعنى والفكرِ والرّوحِ. يمكنُنا طرحُ التساؤلِ حولَ ما يجري في وطنِنا العربيّ (تونس ومصر واليمن و الجزائر ...ألخ) من أحداث هل هي طفراتٍ؟ أم نهضة؟

إذا ما قسناها بمنطق – روجي كارودي – فهي لا تحقّق شروطَ النّهضةِ! إذ أنّها مؤشّرات، ومعالم نحوَ تغيير وتحوّل، إذا فنحن في مرحلةِ "التّغييرِ".

لكنّه ليس تغييرًا عبرَ الطّفرة – أي فجائيّ– فهو نتيجةُ تراكماتٍ لجهودِ مجموعةٍ من الفاعلين في قطاعات مختلفةٍ (كالإعلام وجماعات المعارضة و المثقفين ...) ومن جهةٍ أخرى نتيجة تراكم الضّغط والكبت، أي الاختناق (غياب الحريّاتِ والنّفس الأمنيّ ...) ثمّ من جهةِ الثّورةِ المعلوماتيّةِ التواصليّة عبر الشّبكةِ العنكبوتيّةِ، الّتي شكّلت متنفّسًا افتراضيًّا للمختنقين سرعانَ ما وجد طريقَه للعالمَ الواقعيّ.

شكّلت هذه المحاورُ أعمدة مثلّث إشعال الثورةِ، على غرارِ مثلّثِ الاحتراق الّذي يؤدّي إلى إشعالِ النّارِ.

و هذه الرّكائز الثلاثة، اثنتان منها مكتسبةٌ للشّبابِ الثّائرِ، وهي الوعي الذي نشأ من خلالِ التّراكمِ المعرفيّ، ثمّ التّواصل من خلالِ ساحاتِ الحوارِ البعيدةِ عن أعينِ المراقبةِ والتسلّط، والثّالث يلعبُ دورَ ترمومترِ القياسِ لغيابِ الحريّةِ، ودرجة الكبت التي ما تجاوزت الحدود اكتمل مثلث الاشتعال لتهبّ الثّورةُ من جديد, إذا فنحنُ أمامَ دائرةِ التّصحيحِ والمراقبةِ، وهي آليّةٌ تؤشّر على مستوى الوعي الذي فاق الكثير من التوقّعات حتّى من قبل الخبراء الاستراتيجيين والمراقبين. والثورة تظلّ في إطار التغيير والمراقبة ,ولا تصل إلى تحقيق النهضة المنشودة ما لم تكمل دورة بناء الوعي، وتشكيل الذهنيّة مسارها, نحو رسم الغايات وبناء القيم، ومعنى الحياة، والنّظرة إلى التاريخ وفق ما حدّده روجي كارودي.

و هنا نتحدّث عن أدوار النّخب التي تقود الجماهير، وتعمل في كليّةِ الحياةِ، وتكتب على أوراق العقولِ، وتبحث في دواوين المجتمع فاعلةً ومنفعلةً, أمّا النّخب المنعزلة في نواديها مثلها كمثل مصباحٍ في غرفةٍ فارغةٍ سرعان ما يخبو نورُه.

الشّعوب اليوم بدأت في رسم المعالم المستقبليّةِ عبر ثورات الكرامةِ، والتي يمكنها أن تترجمَ إلى نهضةٍ حقيقيّةٍ إذا ما وجدت الوعاءَ المعرفيّ والبوصلةَ النهضويّةَ عبرَ الانفتاحِ والمعرفةِ والترشيدِ.

المجتمع العربيّ اليوم مهيّأ أكثر من أيّ وقتٍ سابق ليكونَ غراسًا لغدٍ مجيدٍ ونهضةٍ راشدةٍ وحضارةٍ إنسانيّةٍ واعدةٍ.

صورةٌ معلّقةٌ على جدارِ القلبِ

أحمد عثمان

كلُّ شيءٍ يبدو جميلًا ينعكسُ جمالُهُ في النّفسِ الإنسانيّةِ على شكلِ ارتياحٍ وسعادةٍ وهذا خاصّ بالإنسانِ وروحِه المشتاقةِ لوعة شجن دونُ غيرِه من المخلوقاتِ؟

لكنّنا نغفلُ أنّ كلّ شيءٍ زائلٌ لا قيمةُ لهُ حتّى ونحنُ نشعرُ بتمامِ النّشوةِ والفرحِ فأنتَ وما تملكُ منْ شبابٍ وفتوّةٍ وجمالٍ وما شابهَ ممّا تحبّ وتهوى لقمةٌ سائغةٌ وسهلةٌ للثّواني والأيّامِ وأنيابِ السّنينَ(القارطة). ومهما بدتِ اللّذّةُ مغريةً وممتعةً فالحقيقةُ أنّ ما نراهُ أيضًا منَ جمالِ الرّبيعِ والزّرعِ والمطرِ ودواعي البهجةِ والانشراحِ ليسَ إلّا صورةً لشيءٍ ما وحقيقةً تبحثُ أروحُنا عنها بفطرتها الّتي تنزعُ الى الخلودِ... ولا شكّ أنّ هناكَ فرقٌ بينَ الصّورةِ والأصلِ. صورةُ الحبيبِ المعلّقةُ على جدارِ البيتِ أو جدارِ القلبِ هيَ بالتّأكيدِ مجرّد صورةٍ لكنّها ليستْ هيَ ذات الحبيبِ. تمتّع ما شئتَ وبما شئتَ لكن عليكَ أنْ تعرفَ حقيقةُ أنّنا أمامَ صورةٍ ليسَ إلّا. هذا ما أكّدتْهُ الحكمةُ والحكماءُ والمعرفةُ والعارفون وما تقوله تأمّلاتُ النّجومِ الغائرةِ والرّبيعِ الذّاهبِ والجمالِ الذّابلِ والفرحِ الهاربِ. ....

لا تحزنْ لذهابِ الرّبيعِ ولا لذبولِ الأزهارِ وغيابِ الفرحِ فنحنُ على موعدٍ معَ ربيعٍ لا يعرفُ الفناءَ وسعادةٍ لا علاقةُ لها بالزّوالِ وما هذا الرّبيعُ والجمالُ والانشراحُ إلّا صورة (شمسيّة) منه ؟؟؟!! ربما يكونُ قبرُ (أمّي) ممرًّا لهذا الموسمِ الموعودِ ... والموت طيفًا وبوّابةُ نورٍ ونافذةُ الضّوءِ الّتي نبحثُ عنها في دواخلِ أرواحِنا المضطربةِ اضطراب المقيّدِ المشتاقِ!..

فهذهِ الحياةُ المتجهّمةُ بالحزنِ لا تناسبُ كلّ هذا الشّوقِ إلى الفرحِ الّذي يسكنُ نفوسَنا وهي قبيحة كما ترونَها قبحًا لا صلةُ له بكلّ هذا الجمالِ والاخضرارِ السّاكنِ في الرّوحِ الّتي تلوّثها عوادمُ الفناءِ ونوازعُ الكراهيّةِ ورواسبُ الطّينِ وانقطاعُ المطرِ وغيابُ أصواتِ البلابلِ وهجرةُ طيورِ(اليمامة) و (مريم الراعية) خوفًا من (عواءِ) الإنسانِ. وانقراضُ (أصواتِ)الذّئابِ البريّةِ؟!!

تغريبٌ أم تغييبٌ للنص؟

هشام مصطفى

كثُرتْ في الآونةِ الأخيرةِ الدّعواتُ الّتي تصدرُ هنا وهناكَ بالعودةِ إلى قراءةِ النّصوص كما كانَ سابقًا، والمعتمدةُ على ما سارَ عليهِ الأقدمونَ من بيانٍ للمعنى والحكم عليهِ، أو قلْ إنْ شئتَ الدّقة على المناهج المستقاةِ منَ التّراثِ العربيّ المجيدِ، تجدُ قبولًا بينَ أوساطِ المبدعينَ العربِ أو على أدقِّ تقديرٍ بينَ ثلّةٍ منهم أمامَ ثلّةٍ أخرى عارضَتْ ذلكَ وبشدّةٍ تارةً وبلينٍ أخرى.

وكلّ يسوقُ أدلّته الّتي تعتمدُ مرّةً على الحسِّ القوميِّ أمامَ الشّعور بالغربةِ وضياعِ الهويّةِ (كما يرونَ) وأخرى على الاعتزاز بالتّراثِ ورؤيتِه المثال الّذي يجبُ الاحتذاءُ بهِ، وعليه فإنْ خرجتِ القراءةُ للنصِّ عن تلكَ المناهج فإنّما يعني ذلك خروجًا على الشّرعيّةِ المكتسبةِ من عبق التّراثِ والهويّةِ، بلْ واعتبارُ ذلكَ تشويهٌ للنصِّ وخروجٌ بمسار المعنى عن مساره الحقيقيّ، وإن شئتَ قلتَ إلباسُ المعنى قبّعةً بدلًا من غطاءٍ للرّأس.

وقد يبدو ذلكَ صحيحًا إلى حدٍّ ما إذا كنّا نقصدُ من العمليّةِ النقديّةِ تصويبَ مسار النصِّ والمبدع معًا، وبالتّالي فرض ما يسمّى بالوصايةِ على النصِّ والمبدع معًا، حيثُ يصبحُ للنّاقدِ الحقُّ ليسَ في إبداءِ الرّأي بلْ فيما يجبُ فعلُه وما لا يجبُ، حتّى يصلَ بالنصِّ إلى حدِّ الكمال، نقولُ قد يبدو ذلكَ صحيحًا (معَ الاحتفاظِ بحقِّ رفض هذا المعنى للنّقدِ) معَ القصيدةِ التقليديّةِ العموديّةِ لكونِ النصّ يحملُ أسسًا جماليّة تبيحُ ذلكَ، حيثُ أنّها تعبّرُ عن موضوع معروفٍ مُسبقٍ ولهُ سقفُه ومعانيهِ الّتي يمكنُ أنْ نصلَ إلى صوابِ أو خطأ المبدع في التّعبير عن المعنى أو لا، بجانب دوران النّقدِ في حدودِ معنى الفحص والتّدقيق.

إلّا أنّ هذا أيضًا لا يجوزُ لنا التّسليمُ به وعدمُ مساسِه، وخاصّةً معَ الشّعر المعاصر حيثُ تبدّل الأسس من جهةٍ ومنْ جهةٍ أخرى تبدّل الموضوع كمحرّضٍ جماليٍّ إلى ما يسمّى شعرُ التّجربةِ وبالتّالي ممّا يعني تحوّلُ الاستراتيجيّاتِ المعبّرةِ عن المعنى، حيثُ أنّ العمليّة النقديّة أصبحت بالفعل الآن عمليّة إبداعيّة ثانية للنصِّ الأصليِّ (وهذا ما استقرّ عليهِ) ولا يتوقفُ عندَ حدودِ كشفِ المعنى بل اتّجَهَ إلى ما يُسمّى إنتاجُ معنًى لمْ ينتبهْ إليهِ المبدعُ ذاتُه اللهم ما دفعته إلى ذلك الحالةُ اللّاشعوريّةُ للعمليّةِ الإبداعيّةِ الأولى للنص.

لذا فإنّ حدودَ النّقدِ تبعًا إلى ذلك تقفُ عندَ حدودِ طرح الأسئلةِ والّتي تلمّحُ ولا تصرّحُ، وبالتّالي لا تفرضُ وصايا ولا تحدّدُ ما ينبغي على الأديبِ أو الشّاعر قولَه وما لا ينبغي، والّتي لا تتوقفُ عندَ حدِّ القراءةِ الأفقيّةِ للعمل أو الرأسيّةِ بل على الرّبطِ بينهُما، ليسَ احترامًا لرؤيةِ المبدع الأصليِّ للنصِّ وحريّةِ الإبداع فقط بل لاحتماليّةِ الوصول للمعنى في فتراتٍ لاحقةٍ وبمناهجَ نقديّةٍ أخرى وليظلَّ النصُّ مفتوحًا أمامَ القراءاتِ فالحكمُ يعني الغلقَ والانتهاءَ إلى قناعةٍ قد تتغيّرُ بتغيّر المفاهيم والمقاييس، كما أنّه يعني امتلاكَ الحقيقةِ المطلقةِ، وهذا يتنافى معَ المنطق.

ويبدو أنّ هناك تناسيًا أو إهمالًا للتّغيير الّذي طرأ ولا نقولُ التطوّرَ (حيث أنّ التطوّرَ يعني التحوّلَ وبالتّالي الأفضليّة بينَ القديمِ والجديدِ وبينَ العموديّةِ والتفعيلةِ وما بعدَ الحداثةِ) نقولُ التّغييرَ الّذي طرأ على الأسس الجماليّةِ للفنّ عمومًا والأدبِ والشّعر خصوصًا، والّتي تجعلُ منَ المناهج النّقديّةِ التّراثيّةِ بالنّسبةِ للشّعر المعاصر حيثُ تبدّل الأسس من جهةٍ ومنْ جهةٍ أخرى تبدّل الموضوع كمحرّضٍ جماليٍّ إلى ما يسمّى شعرُ التّجربةِ وبالتّالي ممّا يعني تحوّلُ الاستراتيجيّاتِ المعبّرةِ عن المعنى، حيثُ أنّ العمليّة النقديّة أصبحت بالفعل الآن عمليّة إبداعيّة ثانية للنصِّ الأصليِّ (وهذا ما استقرّ عليهِ) ولا يتوقفُ عندَ حدودِ كشفِ المعنى بل اتّجَهَ إلى ما يُسمّى إنتاجُ معنًى لمْ ينتبهْ إليهِ المبدعُ ذاتُه اللهم ما دفعته إلى ذلك الحالةُ اللّاشعوريّةُ للعمليّةِ الإبداعيّةِ الأولى للنص.

لذا فإنّ حدودَ النّقدِ تبعًا إلى ذلك تقفُ عندَ حدودِ طرح الأسئلةِ والّتي تلمّحُ ولا تصرّحُ، وبالتّالي لا تفرضُ وصايا ولا تحدّدُ ما ينبغي على الأديبِ أو الشّاعر قولَه وما لا ينبغي، والّتي لا تتوقفُ عندَ حدِّ القراءةِ الأفقيّةِ للعمل أو الرأسيّةِ بل على الرّبطِ بينهُما، ليسَ احترامًا لرؤيةِ المبدع الأصليِّ للنصِّ وحريّةِ الإبداع فقط بل لاحتماليّةِ الوصول للمعنى في فتراتٍ لاحقةٍ وبمناهجَ نقديّةٍ أخرى وليظلَّ النصُّ مفتوحًا أمامَ القراءاتِ فالحكمُ يعني الغلقَ والانتهاءَ إلى قناعةٍ قد تتغيّرُ بتغيّر المفاهيم والمقاييس، كما أنّه يعني امتلاكَ الحقيقةِ المطلقةِ، وهذا يتنافى معَ المنطق.

ويبدو أنّ هناك تناسيًا أو إهمالًا للتّغيير الّذي طرأ ولا نقولُ التطوّرَ (حيث أنّ التطوّرَ يعني التحوّلَ وبالتّالي الأفضليّة بينَ القديمِ والجديدِ وبينَ العموديّةِ والتفعيلةِ وما بعدَ الحداثةِ) نقولُ التّغييرَ الّذي طرأ على الأسس الجماليّةِ للفنّ عمومًا والأدبِ والشّعر خصوصًا، والّتي تجعلُ منَ المناهج النّقديّةِ التّراثيّةِ بالنّسبةِ للشّعر المعاصر غيرَ مجديةٍ، بل إنّ محاولة تطويع النصِّ المعاصر لهذهِ المناهج يشبهُ كمن يحاولُ أنْ يقرأ نصًّا باللّغةِ الإنجليزيّةِ بقواعدِ اللّغةِ العربيّةِ، فليس غريبًا إذن أن يبدوَ النصُّ مبهمًا وليسَ غامضًا غيرَ ذي قيمةٍ بل وعبثيًّا (ليسَ بمفهوم العبثيّةِ الفلسفيّةِ لكامي أو سارتر) أو هو لغو منَ الكلام، وبالتّالي الخروجُ بالنصِّ عن مسارهِ الصّحيح ودفن المعنى وتآكُلِه وعليهِ فلا تفسيرَ للنصِّ على الوجهةِ الصّحيحةِ ما يجعلُه يخالفُ الرّوحَ العربيّة الأصليّة بالرّغم من كون منتجِهِ عربيّ الرّوح والهوى ولغته عربيّة فصيحة.

إذًا ما الّذي يمكنُ أنْ نقولَه بعدَ هذهِ المقدّمةِ الطّويلةِ؟ إنّ الّذي نحاولُ أنْ نقدّمَه في هذهِ الكلماتِ أنّنا بهذهِ الدّعواتِ إنّما نفصلُ الأدبَ عن الحياةِ ونغرّبُ النصَّ لا عنْ لغتِه وانتمائِه بلْ عن واقعِه وبيئتِه وبالتّالي فإنّما نحنُ نغيّبُ الأدبَ.

وإنْ كان الأمرُ كذلكَ، فهل يعني طرحُ القديمِ والاتّجاهُ (لأوربَةِ) الأدبِ، أو الاعتمادَ على المناهج الغربيّةِ؟.

بالطّبع لا، لأنّنا في هذه الحالةِ نخاطبُ الوعيَ العربيَّ بما لا يملكُه، وهذا لا يعني قصورًا في الوعي العربيِّ، وإنّما لكلِّ وعي أسسُه وحالتُه النفسيّة في قبول هذا أو رفض ذاك.

وهذا بالطّبع ما يجعلنا نُلقي باللّائمةِ على الاتّجاهِ الآخر، والّذي يأخذُ بالنّظريّةِ الغربيّةِ، ويطبّقها كما هي، وكأنّ النّظريّة قد

باتت هدفًا لا وسيلة، وكأنّ الاتّجاهيْن قد اشتركا في تقديس ما يقدّمُه من حيثُ عدم الميل إلى التّطوير للنظريّةِ للملاءمةِ، وكأنّ الاتّجاهيْن قدِ اشتركا أيضًا في العقليّةِ الاستهلاكيّةِ، والّتي تسيطرُ على أوجهِ الحياةِ العربيّةِ عمومًا والثّقافيّةِ خصوصًا، حيثُ أصبحتِ الحياةُ العربيّةُ مستهلكةً غيرَ مُنتجةٍ ومشاركةً في الحضارةِ الإنسانيّةِ، والرّسائلُ والبحوثُ الزّاخرة بها مكتباتُ الجامعاتِ شاهدةً على ذلك، بل والكتبُ النّقديّةُ التّنظيريّةُ أو التّطبيقيّةُ والّتي اقتصرَ دورُها على الشّرح للقديمِ أو نقلِ الغربيّ الجديدِ دونَ الخروج من كلِّ ذلك برؤيةٍ جديدةٍ لنظريّةٍ منبثقةٍ عن الوعي بما قدّمته.

والغريبُ في الأمر أنّ العقليّةَ الغربيّةَ لا تجدُ غضاضةً (برغمِ تقدُّمِها) في الأخذِ من أيِّ مصدرٍ طالما يخدمُ تطوّرها وحتّى وقتِنا هذا، والدّليلُ على ذلكَ هؤلاء العلماءُ العظامُ العربُ والّذين يحملونَ الفكرَ العربيَّ والثّقافةَ الشّرقيّةَ والعربيّةَ بامتيازٍ، لا تجد غضاضةً في أنْ تأخذَ من هذا أو ذاكَ لتشكّلَ وعيَها الجماليَّ ولكن حينما تفعلُ ذلكَ فإنّما تفعلُه بوعي وبعدَ أن تجعلَه قاعدةَ انطلاقٍ لرؤاها هي، فهي حينما تفعلُ ذلك تفعله انطلاقًا من الثّقةِ بالهويّةِ والعقلِ وليس من عقليّةٍ واهيةٍ ضعيفةٍ مترددّةٍ.

فقد طرحت تقديسَ القديمِ وجعلتهُ تراثًا يجبُ الحفاظُ عليهِ من جهةٍ ومنْ جهةٍ أخرى تجاوزتهُ فهوَ قابلٌ للنّقاشِ والتّعديلِ والتطوّرِ ليكونَ أكثرَ ملاءمةً ومواءمةً لعصرها ونمطِ حياتِها.

فهل منَ المقبولِ أنّك تجدُ وأنتَ محلّقٌ في الفضاءِ وقد بلغتَ أوجَ التقدّمِ العلميِّ من يحدّثُك عن وقفتِه أمامَ الأطلالِ وتأوّهاتِه للحبيبةِ وللفراقِ مثلما كان يفعلُ الأجدادُ حيثُ قمّةُ الرّجولةِ والفروسيّةِ أنْ تكونَ شديدًا في ملاقاةِ العدوّ متهالكًا أمامَ محبوبتِك وكأنّك عدتَ لتصبحَ عنترةً وهيَ عبلةً أو أنّك قيسٌ الذي جنّ، نحن نحترمُ هؤلاءِ ولكنّنا لسنا هم، هم قد عبّروا عن رؤاهم ومبادئِهم وحياتِهم وملامِحِها وأعرافِها وعلينا أنْ نفعلَ مثلما فعلوا ولكن بما يعبّرُ عنّا لا عنهم، أو من يجعل همَّه الأوحدَ المبالغةَ في التّراكيبِ والعباراتِ دونَ النّظر لا في استراتيجيّةِ المعالجةِ أو الرّؤى المطروحةِ.

وهل منَ المقبولِ اعتبارُ العملِ عملًا رائعًا لمجرّدِ أنّه يدعو للقيمِ أو المثلِ العُليا فيحوّلُ الوعظَ وكأنّه أقصوصةٌ أو الخطبةَ قصيدةً عصماءَ وبغضّ النّظرِ عنْ مستواهُ الفنيّ وانسياقِه واعتمادِه على الأساليبِ القديمةِ بل والعباراتِ الّتي سارَ عليها الأقدمونَ منذُ قرونٍ خلت ولم يكلّفْ نفسَه عناءَ التّطويرِ أو التّعبيرِ عن الذّاتِ.

وعلى الضفّةِ الأخرى يجبُ الاعترافُ أنّ التّنظيرَ للشّعرِ الحديثِ لمْ يبلغْ حدّ النّضجِ والاستقرار، بحيثُ أنّنا نجدُ أنّ المصطلحاتِ النّقديّةَ مثلًا ما زالت متضاربةً حدّ التضادّ ولعلّ مصطلحَ الحداثةِ مثالٌ واضحٌ والذي بلغت تعريفاتُه ما يقربُ منَ العشرينِ تعريفًا حتّى وُصفَ بالمصطلح المراوغ، مثالًا آخر لتعريفِ الشّعرِ ذاتِه حيثُ أنّه كلامٌ موزونٌ مقفًّى على ظاهرِ التّعريفِ ولمْ يقدّمْ تعريفًا آخرَ يواكبُ ما طرأ على الشّعرِ من تغييرٍ فإن سألتَ أحدَ الحداثيّين ما الشّعرُ لمْ يقدّمْ لكَ تعريفًا بل رفضًا للتّعريفِ المذكورِ آنفًا، فلا الّذي رفضَه قدّمَ البديلَ أو حاولَ معرفةَ لماذا الإصرارِ على الوزنِ والقافيةِ دونَ غيرِه من مظاهرِ الشّعرِ وما دلالةُ ذلك ولا الّذي قبلَه حاولَ تطويرَ تفسيرِه فلمْ يسألْ لمَ وصفَ بالكلامِ ولمَ نصفُهُ بالألفاظِ مثلًا، وكلاهُما توقفَ مفهومُ الشّعرِ عندَه بحدودِ القصيدةِ مُهملًا المتلقّي وبالتّالي لم يتطوّرْ مفهومُ الشّعرِ ووقفَ عندَ حدّ تعريفِ العلّامةِ النقديّ قدامة بن جعفر.

إنّ الأمرَ أكبرُ منْ أنْ يناقشَ في بضعِ كلماتٍ هنا أو هناك لأنّهُ متعدّدُ الأوجهِ والزّوايا وحسبنا التّساؤل والطّرح للتّفعيلِ وإعادةِ التّفكيرِ والنّظرِ في أمورٍ يمكن لها أن تنتجَ وجهًا جديدًا للأدبِ بشقّيهِ الإبداعيّ الأوّل والنقديّ أو الإبداعيّ الثّاني شريطةَ أنْ نمتلكَ الوعيَ المواكبَ لعصرنا والمعبّرَ عنّا لا عن الغربِ أو القدماءِ منَ الأجدادِ وكذلك يعكسُ الهويّةَ الواثقةَ لا الهويّةَ المترددّةَ الضّعيفةَ الخائفةَ وإن كان هذا الضّعفُ وذلك التردّدُ هو الانعكاس الحقيقيّ للحياةِ العربيّةِ الآن فلعلّ الأدبَ يكونُ المدخلَ لتغيير ذلكَ كلّه، وأخيرًا نعودُ للتّساؤل المطروح أصلًا بعد هذا المرورِ السّريع، هل نغرّبُ النصّ أمْ نغيّبُه؟ أعتقد أنّنا في كلا الحالتيْن نغيّبُهُ.

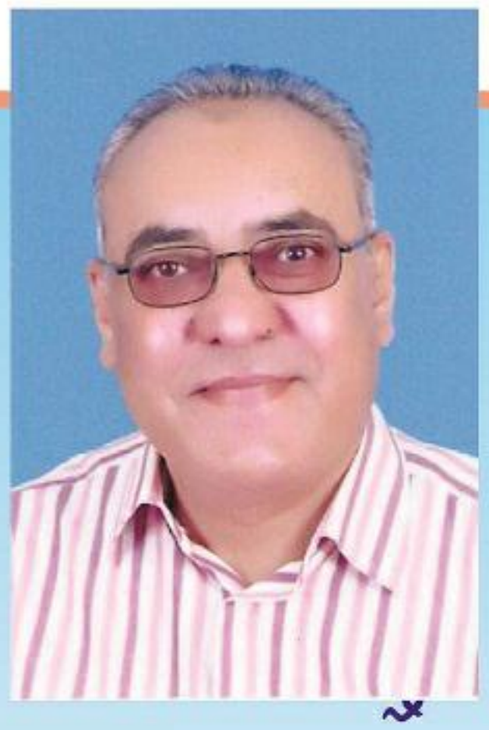

نسر جريح

حسام القاضي

بيدٍ معروقةٍ خبيرةٍ بدأت في ترميمِ لوحتِها العريقةِ الأثيرةِ، غمست الفرشاةَ في اللّونِ الأسودِ وجرّت بها في الأسفلِ لتحدّها وتكسبَها المزيدَ من الظّلالِ، ثمّ أكّدتْ على الخطّ الأخضرِ المتعرّجِ المارّ طولياً، وبريشةٍ رفيعةٍ انشغلتْ بالكثيرِ منَ التّفاصيلِ والمنمنماتِ قبلَ أنْ تعودَ للقمّةِ لتصبغَها بالأحمرِ.. جاءَتها البريئةُ ذاتُ العامينِ .. اعتلَت لوحتَها .. خاضَت بقدميها في الأحمرِ .. طفقتْ تدورُ في كلّ الاتّجاهاتِ .. ترقصُ رقصتَها العشوائيّةَ ..تقفزُ ..تركلُ الأرضَ بقدميها.. تشقّقت الطّبقةُ السّطحيّةُ البرّاقةُ وانكشفَ ما كانَ خافِيًا تحتَها!!..

تركتْها أخيرًا ممزّقةً في أكثرِ من موضعٍ، وقد لطّختها قدماها بالأحمرِ فطُمستْ معظمُ ملامِحِها..لم يعدْ باديًا مِنها سوى .. هلالٌ باهتٌ لونُه و..ناقوسٌ مشروخٌ ، وبينهُما .. نسرٌ جريحٌ!

أبو العلاءِ المعريّ هو أحمدُ بنُ عبدِ اللّهِ بنُ سليمانَ القضاعيّ التنوخيّ المعريّ (٣٦٣ ـ٤٤٩هـ)، (٩٧٣ ـ١٠٥٧ م)

مالئُ الدّنيا وشاغلُ النّاسِ مثلُه مثلُ المتنبّي والّذي كانَ يصفُ المتنبّي على أنّه أستاذُه ..

المعرّي ... أنا الشيخ المفترى عليهُ

الجزءُ الأوّل

أحمد حمود الغنام

المعرّيّ ذلك الإنسانُ الّذي بلغَ المجدَ من جميع أطرافِه وحازَ من الصّفاتِ الّتي لمْ تجتمعْ لأحدٍ من قبلِهِ ولا من بعدِه فإن شئتَ قلتَ المعريّ:

١ـ الشّاعرُ
٢ـ الأديبُ
٣ـ النّاقدُ اللغويّ
٤ـ الفيلسوفُ
٥ـ اللغويّ
٦ـ الرّاوي
٧ـ القاصّ
٨ـ النّاقدُ الإجتماعيّ

وأوصافٌ أخرى تلمسُها وأنتَ تطوفُ بينَ أرجاءِ عالمِه الواسع.

بدأتْ حياتُه بالمصائبِ والابتلاءاتِ ومنذُ نعومةِ أظفارِه فمنَ العمى إلى فقدِ أمّهِ "الصّدرُ الحاني عليهِ"
إلى فقدِ أبيهِ، إلى غربتِه وتغرّبِه.
ومنْ ثمّ إلى كثرةِ حاسديهِ ومتّهميهِ بانتحالِهِ أدبهِ وعلمِهِ من فلسفاتٍ ما أنزلَ اللهُ بها من سلطانٍ، واتّهامِه في عقيدَتِه أقدس شيءٍ يملكُه.
والعصرُ الّذي عاشَ فيهِ المعريّ يعتبرُ منْ أكثر العصور الّتي مرّتْ على أمّتِنا والّتي استشرتْ فيها الفِتنُ واستمرأ النّاسُ فيها الحسدَ والبغضاءَ، ممّا أوغرَ عليهِ صدورَ منْ أعمتهُم الفتنةُ.
وصدقَ فيهِ القولُ المأثورُ لكلّ شهرةٍ ضريبةٌ لا بدّ منها!
كانَ المعرّيّ حادّ الذّكاءِ تنمّ عن ذلكَ عبقريّتُه الّتي كانتْ تُبهرُ معاصريه، ويعودُ ذلكَ إلى الثّراءِ العلميّ الّذي أحاطه فقدْ درسَ علومَ اللّغةِ والأدبِ والحديثِ والتّفسيرِ والفقهِ والشّعرِ على نفرٍ منْ أهلِهِ، وفيهمُ القضاةُ والفقهاءُ والشّعراءُ، وقرأ النّحوَ في حلبَ على أصحابِ ابن خالوَيْه ويدلّ شعرُهُ ونثرُهُ على أنّهُ كانَ عالمًا بالأديانِ والمذاهبِ وفي عقائدِ الفرق، وكانَ آيةً في معرفةِ التّاريخ والأخبار. وقالَ الشّعرَ وهو ابنُ إحدى عشرة سنة.
سافرَ في أواخر سنةِ ٣٩٨ هـ، إلى بغدادَ فزارَ دورَ كتبها وقابلَه علماؤها. وعادَ إلى معرّةِ النّعمان سنة ٤٠٠ هـ، وشرعَ في التّأليفِ والتّصنيفِ ملازمًا بيتَه وكانَ كاتبُهُ اسمُه عليّ بنُ عبدِ اللهِ بنُ أبي هاشم.
عاشَ المعرّيّ بعدَ اعتزالِه زاهدًا في الدّنيا، معرضًا عن لذّاتِها، لا يأكلُ لحمَ الحيوانِ حتّى قيلَ أنّه لم ياكل اللّحمَ ٤٥ سنة، ولا ما ينتجُهُ منْ سمنٍ ولبنٍ أو بيضٍ وعسلٍ، ولا يلبسُ منَ الثّيابِ إلّا الخشنَ. ويعتبرُ المعرّيّ منَ الحكماءِ

والنّقادِ. وتوفّيَ المعرّيّ عن ٨٦ عامًا ودُفنَ في منزلِهِ بمعرّةِ النّعمان. ولمّا ماتَ وقفَ على قبرهِ ٨٤ شاعرًا يرثونَه.
وعن عقيدةِ الرّجلِ فقدْ أثارتْ عبقريّةُ المعرّيّ حسدَ الحاسدينَ فمنهُم منْ زعمَ أنّهُ قرمطيّ، ومنهُم منْ زعمَ أنّه درزيّ وآخرون قالوا إنّه ملحدٌ ورووا أشعارًا اصطنعوا بعضَها وأساؤوا تأويلَ البعضِ الآخر، غيرَ أنّ من الأدباءِ والعلماءِ مَنْ وقفوا على حقيقةِ عقيدتِهِ وأثبتوا أنّ ما قيلَ منْ شعرٍ يدلّ على إلحادِه وطعنِه في الدّياناتِ إنّما دُسّ عليهِ وألحقَ بديوانِهِ.
وممّن وقفَ على صدق نيّتِهِ وسلامةِ عقيدتِه الصّاحب كمال الدّين ابن العديم المتوفّي سنة ٦٦٠ هـ، وأحدُ أعلامِ عصره، فقدْ ألّفَ كتابًا أسماهُ "العدلُ والتحرّي في دفعِ الظّلمِ والتجرّي عنْ أبي العلاءِ المعرّيّ" وفيه يقولُ عن حسّادِ أبي العلاءِ "
فمنهُم منْ وضعَ على لسانِه أقوالَ الملاحدةِ، ومنهُم منْ حملَ كلامَه على غير المعنى الّذي قصدَهُ، فجعلوا محاسنَهُ عيوبًا وحسناتِهِ ذنوبًا وعقلَهُ حمقًا وزهدَهُ فسقًا، ورشقوهُ بأليمِ السّهامِ وأخرجوهُ عن الدّينِ والإسلامِ، وحرّفوا كلامَهُ عن مواضِعِه وأوقعوهُ في غيرِ مواقِعِهِ. و كانَ يحرّمُ إيلامَ الحيوانِ ولذلكَ لمْ يأكلِ اللّحمَ خمسًا وأربعينَ سنةً رفقًا منهُ بالحيوان.
وأسوقُ لكم مثالًا لما حُرّفَ من نظمِهِ من قبلِ حسّادِه:
فقدْ وردَ في اللّزوميّاتِ البيتُ التّالي:

"قد ترامتْ إلى الفسادِ البرايا
واستوتْ في الضّلالةِ الأديانُ

والبيتُ المرويّ على هذا النّحو يلصقُ تهمةَ الإلحادِ بأبي العلاءِ،
إذْ ينسبُ الضّلالةَ إلى جميعِ الأديانِ،
غيرَ أنّنا إذا رجَعنا إلى كتابِ (شرحُ المختارِ من لزوميّاتِ أبي العلاءِ)
لابنِ السيّدِ البطليوسيّ المتوفّي سنة ٥٢١ هـ أي بعدَ أبي العلاءِ بسبعينَ سنة،
وجدناهُ ينشدُ البيتَ على هذا النّحو:

"قد ترامتْ إلى الفسادِ البرايا
ونهثنا -لو ننتهي- الأديانُ

وروايةُ البطليوسيّ أوثقُ من روايةِ اللّزوميّاتِ المطبوعةِ، لأنّها أقدمُ من مخطوطاتِها الّتي اعتمدتْ عليها على أنّ القصيدةَ الّتي وردَ فيها هذا البيتُ تدلّ على تحريفِهِ المتعمّدِ فهوَ في القصيدةِ يمجّدُ عظمةَ الخالق. والمعرّيّ نفسُه قد علِمَ بما سيدسّ حسادُه عليهِ فكانَ يقولُ: أنا الشّيخُ المكذوبُ عليهِ، وهذا ما جعلَ بعضَ من اتّهمَه بالإلحادِ يرجعُ عن اتّهامِهِ،كما فعلَ ابنُ الورديّ حينَ اتّهمَه في كتابِهِ (تتمّةُ المختصر في تاريخ البشر) ثمّ رجعَ عن اتّهامِه وأثنى على حسن اتّقادِهِ وسلامةِ يقينِهِ بعدَ أن اطّلعَ على كتابِهِ (ضوءُ السّقطِ).
وكأنّ المعرّي أحسّ بمنْ يدسّونَ عليهِ فنراهُ يعتذرُ لنفسِهِ محتسبًا ذلك عندَ خالقِهِ:

ليفعلَ الدّهرُ ما يهمّ بهِ
إن ظنّوني بخالقي حسنة

لا تيأسُ النّفسُ من تفضّلِه
ولو أقامتْ في النّار ألفَ سنة

ومنَ العصر الحديثِ فإنّ أشهرَ منْ دافعَ عن المعرّي أميرُ البيانِ محمود محمّد شاكر، حيثُ أفردَ لهُ كتابًا سمّاهُ "أباطيلٌ وأسمارٌ" للردّ على مشوّهي صورةِ المعرّيّ
ومنَ العصر الحديثِ أيضًا ممّن تعرّضَ لهذهِ القضيّةَ أديبٌ آخر من أعلامِ العصر الحديثِ وهو أحمد باكثير
حيثُ كتبَ مسرحيّتَه "ثلاثةُ أيّامٍ معَ رهينِ المحبَسين، حاولَ فيها الدّفاعَ عن بعضِ ما أثيرَ حولَ المعرّي من شكوكٍ.
وممّن تتلمذَ على المعرّيَ كثيرٌ من طلّابِ العلمِ ممّن علا شأنُهم في العلمِ والأدبِ، ومنهم: أبو القاسم عليّ بنُ المحسنِ التنوخيّ. أبو الخطّاب العلاء بن حزم الأندلسيّ. أبو الطّاهر محمّد بنُ أبي الصّقر الأنباريّ. أبو زكريّا

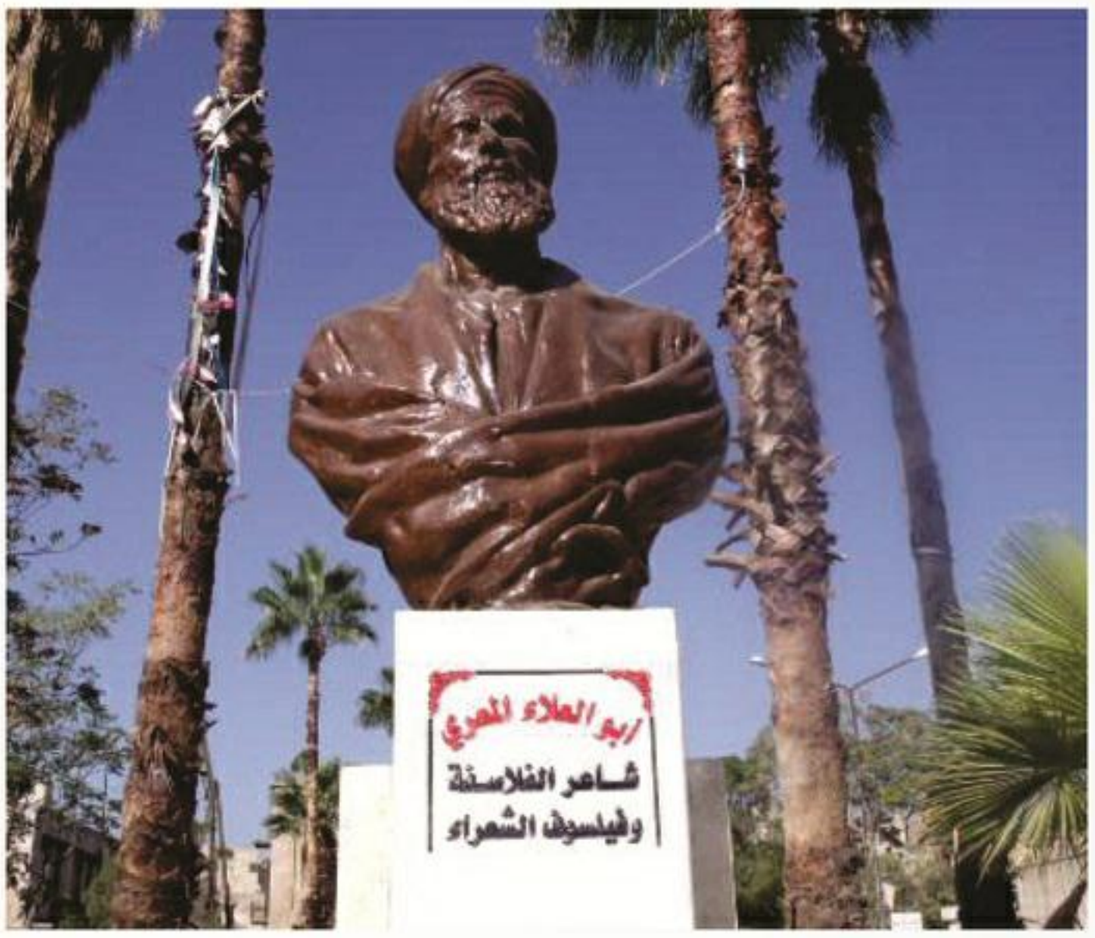

يحيى بنُ عليّ الخطيب التبريزيّ. فلم نجدْ أحدًا منهُم إلّا مثنيًا على علمِ المعرّيّ وفضلِه، ومعجبًا بشـــــدّةِ فطنتِهِ وقوّةِ حافظتِهِ، ومعترفًا بحسنِ عقيدتِهِ وصدق إيمانِهِ. وقد شهدَ جميعُ شعراءِ عصرهِ بفطنتِهِ وحكمتِهِ وعلمِهِ.
نماذجُ من شعرهِ:

* في تواضُعِهِ:

دُعيـتُ أبا العلاءِ وذاك مينٌ ولكنّ الصّحيحَ أبا النّزول

* في سببِ اعتزالِهِ عن النّاس:

هـذا زمـانٌ ليسَ فـي أهلِـهِ
إلّا لأن تهجـــــره أهـــل

حـان رحـيلُ النّفسِ عـن عالمٍ
مـا هـو إلّا الغـدرُ والجـــهلُ

إن خـــتمَ اللهُ بغفرانِـــــهِ
فكـلّ مـا لاقيتُـهُ ســـــهلُ

* وفي الرّياءِ والخداع بمظاهر الدّين يقولُ:

إذا رامَ كيـدًا بـالصّلاةِ مُقيمًـا
فتاركُهـا عمـدًا إلـى اللـهِ أقربُ

ويقول أيضًا:

يحـرّم فيكـم الصّهبـاءَ صبحًا
ويشـربُها عـلى عمـدٍ مسـاءً

إذا فعـلَ الفتـى مـا عنـهُ يَنهى
فمـن جـهتين لا جهـةً أسـاءَ

رأيه في حكّام زمانِهِ:

يسوسـونَ الأمـورَ بغـيرِ عقلٍ
فينفـذ أمـرُهم ويقـالُ ساسَـة

فـأفّ مـن الحيـاةِ وأفّ منّـي
ومـنْ زمـنٍ رئاسـته خساسـة

الموضوعُ ذو شجونٍ ومن الصّعبِ أنْ نلمَّ بالجزءِ اليسير من حياةِ هذا الجهبذِ في هذه العجالةِ .. وللحديثِ بقيّة

إلى وطني بثورتِه

نداء غريب صبري

تغتالُني يا سيّدي شوارعُ المدينةِ
جدرانُها الصمّاءُ إلّا من أنينِ السّاكنين بلا أمل
وهذهِ المقاعدُ المرصوصةُ اليأوي لها الصّبيانُ بالدّمى المحشوّةِ الحمراء
والقلوبِ القرمزيّةِ
وأنتَ في خاطرِ قلبي غارقٌ في حمرةٍ غير الّتي يروون في مواسمِ الغرامِ
أنتَ الأميرُ المطلقُ المحكومُ بالحرمانْ
أنتَ المتوّجُ المسكونُ بالضّنى والآهِ والمملوكُ للغربانْ
أنتَ الأسيرُ السيّدُ العملاقْ
وكلّهم مستعبدٌ لما يريدُ مارقٌ أفّاقْ
وأنتَ أنتَ وحدكَ الحبيبُ والقريبُ والجديرُ بالحياةِ والوجودْ
متى يا كلُّ عالَمي ....
تُكسّرُ الأغلالَ والقيود؟
أراكَ حينَ تشرقُ الألوانُ في سمائِنا هديّةْ
قلبًا بلونِ العيدِ لكن ...
هل لنا بقاءْ؟
في عالمٍ يكسون عيد الحب فيهِ يا أنا ...
بالنّارِ ...
بالدّمارِ..
بالدّماءْ
مولايَ كنْ لي ...
كيْ تعودَ الشّمسُ للسّماءْ

الحضارةُ الأندلسيّةُ إسلاميّةٌ لا غربيّةٌ

أ. د. خديجة إيكر

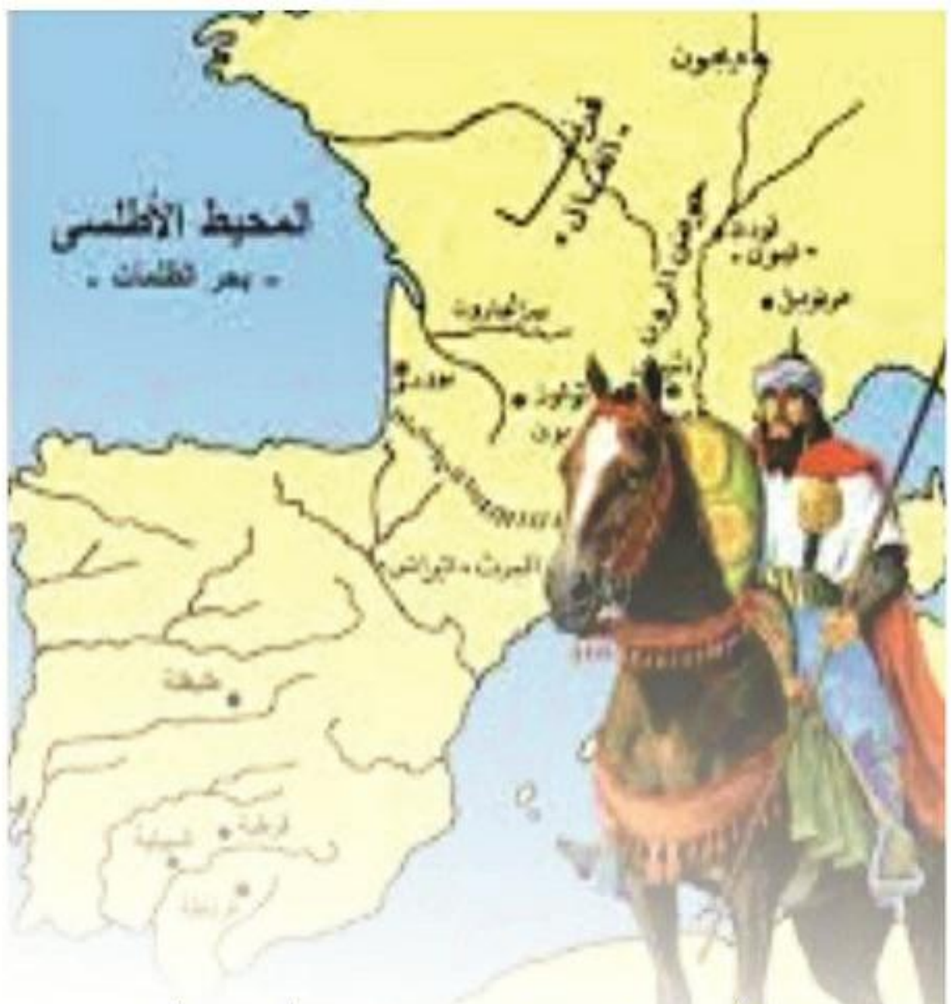

يُمَثّلُ المغربُ والأندلس حضارةً واحدةً ارتبطت منذُ القديمِ. والحضارةُ الأندلسيّةُ ليست عربيّةً فقط بل إسلاميّة. فمنَ النّاحيةِ التّاريخيّةِ كان " القُوط " هم الحاكمون لإسبانيا التي سميّت فيما بعد بالأندلسِ بعد الفتحِ الإسلاميّ لها على يدِ القائدِ طارق بن زياد سنة ٩٢هـ.

ومنذُ هذهِ الفترةِ وخاصّةً معَ قيامِ الدّولةِ الأمويّةِ في الأندلسِ من قبلِ عبدِ الرّحمن الدّاخل سنة ١٣٨هـ والأندلس تعرف حضارةً عربيّةً إسلاميّةً حيثُ بُنيتِ المساجدُ الكبيرةُ للصّلاةِ ولدراسةِ العلومِ أهمّها جامع قُرْطُبة الكبير، وشُيِّدتِ القصورُ البديعةُ والفنادقُ وكانتِ الشّوارعُ والبيوتُ ذاتُ تنظيمٍ هندسيّ محكم. و كلّ مَن زار إسبانيا الآن سيُشاهدُ هذه المآثرَ العربيّةَ الإسلاميّةَ الّتي قلّ نظيرُها.

وظلّتْ قرطبةُ فيما بعد وِجهةً للطّلاّبِ من الشّرق والغربِ ينهلونَ منَ العلمِ والفلسفةِ والآدابِ والطبّ وغيرها منَ العلومِ، فكانت تُضارعُ بغدادَ في المشرق من حيثُ العلوم ولآدابِ والفنونِ. كانت الكتبُ النّفيسةُ تُقتَنى من البلدانِ البعيدةِ حتّى امتلأت الخزّانات بالكتبِ النّادرةِ، ولا زالت إسبانيا إلى الآن يقْصدُها كلّ من يبحث عن مخطوطٍ نادرٍ. ومن يقولُ أنّ الحضارةَ الأندلسيّةَ حضارةٌ غربيّةٌ فكاذبٌ أو جاهلٌ بالتّاريخِ، فقد كانَ للأندلسِ وصقلّية دورٌ مهمٌّ وفضلٌ كبيرٌ على النّهضةِ الأوربيّةِ حيثُ قامَ علماؤهم بترجمةِ هذا التّراثِ العربيّ الإسلاميّ إلى لغاتِهم للاستفادةِ منهُ. وحتّى نتبيّنَ مدى أهمّيةِ الحركةِ الفكريّةِ عمومًا والأدبيّةِ خاصّةً الّتي عرفتها الأندلس في وقتٍ كانت فيهِ أوربا تعيشُ تحتَ وطأةِ العصورِ الوسطى هذهِ أسماءُ بعضِ أدباءِ الأندلسِ الذين اشتهروا منذ القرن ٤ هـ:

ـــ في القرنِ ٤هـ : ابن هانئ الأندلسيّ في إشبيليّة، ابن عبد ربّه صاحب (العقد الفريد). ـــ في القرن ٤ و ٥هـ : ابن رشيق القيروانيّ صاحب (العمدة في صناعة الشعر و نقده) و (قراضة الذّهب في نقدِ أشعارِ العربِ)، والمعتمد بن عبّاد حاكم إشبيليّة (Sevilla) الذي كان شاعرًا مبدعًا، وابن شهيد صاحب رسالة (التّوابع والزّوابع)، وابن حزم صاحب(طوق الحمامة) وابن زيدون الشّاعر المشهور.

ـــ (في القرن ٥ و ٦هـ): الشّاعر ابن خفاجة الأندلسيّ في بلنسية (valencia) ـــ وفي القرن ٧هـ: الشاعر مالك بن المرحّل السَّبتي (نسبةً إلى سبتة المدينة المغربيّة المحتلّة منَ الإسبان). ـــ و في القرن ١١ و ١٢ هـ الشّاعر ابن زاكور. أمّا المؤلّفات الأندلسيّة فأذكر منها: * (حيّ بن يقظان) أو (أسرارُ الحكمةِ الإشراقيّةِ) لابن طفيل، ويعتبر من أهمّ ما كتب في الفلسفةِ. *(المخصّص) لابن سيده الأندلسي وهو من معاجم المعاني.

* كُتُب الزّهراوي في الطبّ والصّيدلة.

* (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) في علم الجغرافيا للشّريفِ الإدريسيّ الجغرافيّ المغربيّ.

* (الذّخيرة في محاسنِ أهلِ الجزيرةِ) لابن بسّام الأندلسيّ.

* (الإحاطة في أخبار غرناطة) للسان الدّين بن الخطيب. * كتُب ابنِ عصفور في فنّ الصّرف * كتُب أبي حفص بن حسن في علمِ النّحو الّذي نجد ابن منظور يستشهدُ بأقوالِه في معجمِ لسانِ العربِ.

* (منهاج البلغاءِ وسراج الأدباءِ) لحازم القرطاجني الشّاعر والنحويّ، وغيرهم كثير. فهل بعد هذا ننخدع بقلْب الغربيّين للحقائق وادّعائهم بأنّ الأندلس حضارتُها غربيّة؟

قراءةٌ في قصيدة :

ولا في علوِ السماء

للراحلةِ شريفةَ العلوي

رحمها الله تعالى

كاملة بدارنة

لأنّ السماءَ هناكَ
ملبّدةٌ بالخرابِ
لذا الحزنُ فرض
وأفراحنا الباقيات منَ النّافلات
يضنّ عليها زمانُ السّؤال
بشقّةِ تمرِ الجوابِ

تبدأ القصيدةُ بعرضِ صورةٍ مخالفةٍ للصّورةِ النمطيّةِ المعروفةِ عنْ تلبّدِ السّماءِ بالغيومِ، وهيَ صورةُ السّماءِ ملبّدةً بالخرابِ! إذا كانتِ السّماءُ وهي رمزُ العلوّ والرّفعةِ والطّموحِ ملبّدةً بالخرابِ فنحنُ أمامَ قتامةٍ ودمارٍ لكلّ ما نسمو إليهِ، ويسيطرُ الحزنُ على المكانِ وعلى مشاعرِ القارئِ الّتي تتلبّدُ أيضًا باليأس. ويؤكّدُ الأمرَ حينَ الحديثِ عن الأفراحِ وهيَ ما تبقّى منَ النّافلاتِ. والنّوافلُ أو النّافلاتُ في اللّغةِ هي : "مَا زَادَ عَلَى النَّصِيبِ أو الْحَقِّ أو الفَرْض" .

أي أنّ الفرحَ ليسَ ذا دورٍ أساسيّ كونه نافلةً. أضفْ إلى ذلكَ ما تبقّى من هذهِ النّافلةِ لا يحظى بنصيبٍ من الإجابةِ والتّحقّق؛ كونَ الزّمان يبخلُ عليها حينَ تطالبُ بالقليلِ القليلِ من الاستجابةِ (بشقّةِ تمرِ الجوابِ). تناصٌّ رائعٌ معَ الحديثِ النّبويِّ "من استطاعَ منكُم أن يستترَ منَ النّارِ ولو بشقِّ تمرةٍ فليفعلْ". الحديثُ الذي يحثُّ على الصّدقةِ ولو بشقِّ تمرةٍ. إشارةٌ إلى أنّ الفرحَ لا يحظى بالصّدقةِ القليلةِ ليستمرّ.

وأن السحائب حكر
على من يجاري بريق السراب

وبما أنّ السّماءَ ملبّدةٌ بالحزن، فإنّ السّحبَ وهي الغيومُ التي ستعطي المطرَ يحتكرُها من يجاري الوهمَ وهو بريقُ السّرابِ. في النّهايةِ العدميّةِ مسيطرةٌ ... الغيمةُ غيمةٌ لم تمطرْ، ومن يملكُها يؤمنُ بوهمٍ غير موجودٍ، فلا شيءَ يتحقّقُ!

صخور من الكبرياء
تنز الدموع

والدّموعُ (تذرفُها) صخورُ الكبرياءِ ... الصّخورُ صمّاء ولا يمكنُ أنْ تحسَّ لكنّها هنا الأنفةُ والكبرياءُ الّتي تنزّ أي ترشَحُ وتسيلُ ببطءٍ لصلابةِ المصدر المنبثقةِ عنهُ.

وكم من حيارى تعاقر يأس الشراب
إذا ما المسافات تنهل
قهر الغياب

الحيرةُ تسيطرُ على النّاس وتجعلُهم يعاقرونَ كؤوسَ الشّرابِ اليائسةِ... المعاقرةُ للخمرةِ، والخمرةُ مصدرُ النّشوةِ والفرح لكثيرينَ، ولكنّ المعاقرة هنا لليأس! فيما الزّمنُ زمنُ الغيابِ الّذي ينهله حينَ عطشِه للحضور.

وإنا جميعا نصافح هذا المساء
لكي لا يحضّ الرياح
على الاحتطاب بنار ترمد أفكارنا
وتغرس فينا مزيدا من الحزن
حد التأسي
وبؤسا تحلى بثوب اليباب

الكلُّ يصافحُ المساءَ. والمساءُ رمزٌ للنّهايةِ فهوَ القطعةُ الزّمنيّةُ الأخيرةُ منَ النّهار، والمصافحةُ هي القبولُ والتّرحيبُ، فالجميعُ يقبلون هذا الوضعَ كي لا يزدادَ سوءًا .... كي لا يشجّعَ الرّياحَ لتزيدَ منَ اشتعال نار الأفكار الّتي تغرسُ المزيدَ منَ الحزن المرتدي ثوبَ الخرابِ ... قبولٌ بالواقع المرير كيْ لا يأتي الأمرّ!

وأن الشرائع باتت هنا كالسيوف
تقارعنا بالحراب
الشّرائع التي من المفروض أن تكون مصدرا للعدل، أضحت مصدر خوف وأذى وأداة حرب مقاتلة.
وأنّا إذا ما ارتوينا
بآسن كأس المرارة في الانتظار
تُسَاوِمُ أيامنا
بين أن نحيا من أجل عصف الرغيف
وبين التقهقر سيرا على قوس جفن الضباب

في حالةِ الانتظار قد يكونُ الارتواءُ بما تبقى راكدًا عفنًا في كؤوسِ المرارةِ بمساومةٍ بينَ الحياةِ من أجل الرّغيف أو التّراجع الفاشل. الخبزُ وهو الحاجةُ الأساسيّةُ للجسدِ يتطلّبُ معاناةً ومرارةً، وقد لا ينالُ...
وإنا تعبنا من الأمنيات التي تحفر
الصخر حينا ..
وحينا تلوح بكف العقاب ..
كأنا بذاك التمني
أقمنا القبورا
وأنا بذاك التحدي ضربنا
الصدورا

عدمُ تحقيق الأمنيّاتِ والّتي هي أشبهُ بالحفر بالصّخور، وقد تنذرُ بالعقابِ أيضًا، وسبّب التّعب وربّما كانتِ الأمنيّاتُ سببًا للموتِ الّذي أعدّت له القبورُ، وكأنّ التّحدّي بالأمنيّةِ ضربٌ للصّدور وهو بذلكَ عقابٌ لا ثوابٌ.

كفانا التمني
كفانا التأني
سنمضي إلى ما نشاء
فلن نقبل الآن هذا الغبار
و لا في علو السماء
ولا في تراب التراب .

وبما أنّ التمنّي لم يجدِ وشكّلَ خطرًا، جاءتِ الدّعوةُ وصرخةُ التّحدّي بالكفِّ عن الحلِّ الوهميِّ هذا، وكفى للتّأني، أي للتّقاعس، ويجبُ المضيّ قدمًا، وعدم القبول بالغبار ... فالغبارُ مؤذٍ، مانعٌ للرّؤيةِ، وحاجبٌ للحقائق, مرفوضٌ في الجسام من الأمور والهامّة(علو السّماء) وفي الصّغائر منها (تراب التّراب) الحقيقةُ يجبُ أن تظهرَ في كلِّ مكانٍ ولا قبولَ إلّا بالحقِّ .. لا للأمنيّاتِ ولا للغبار! ويجبُ التّحرّكَ صوبَ ما يرادُ تحقيقه!

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ

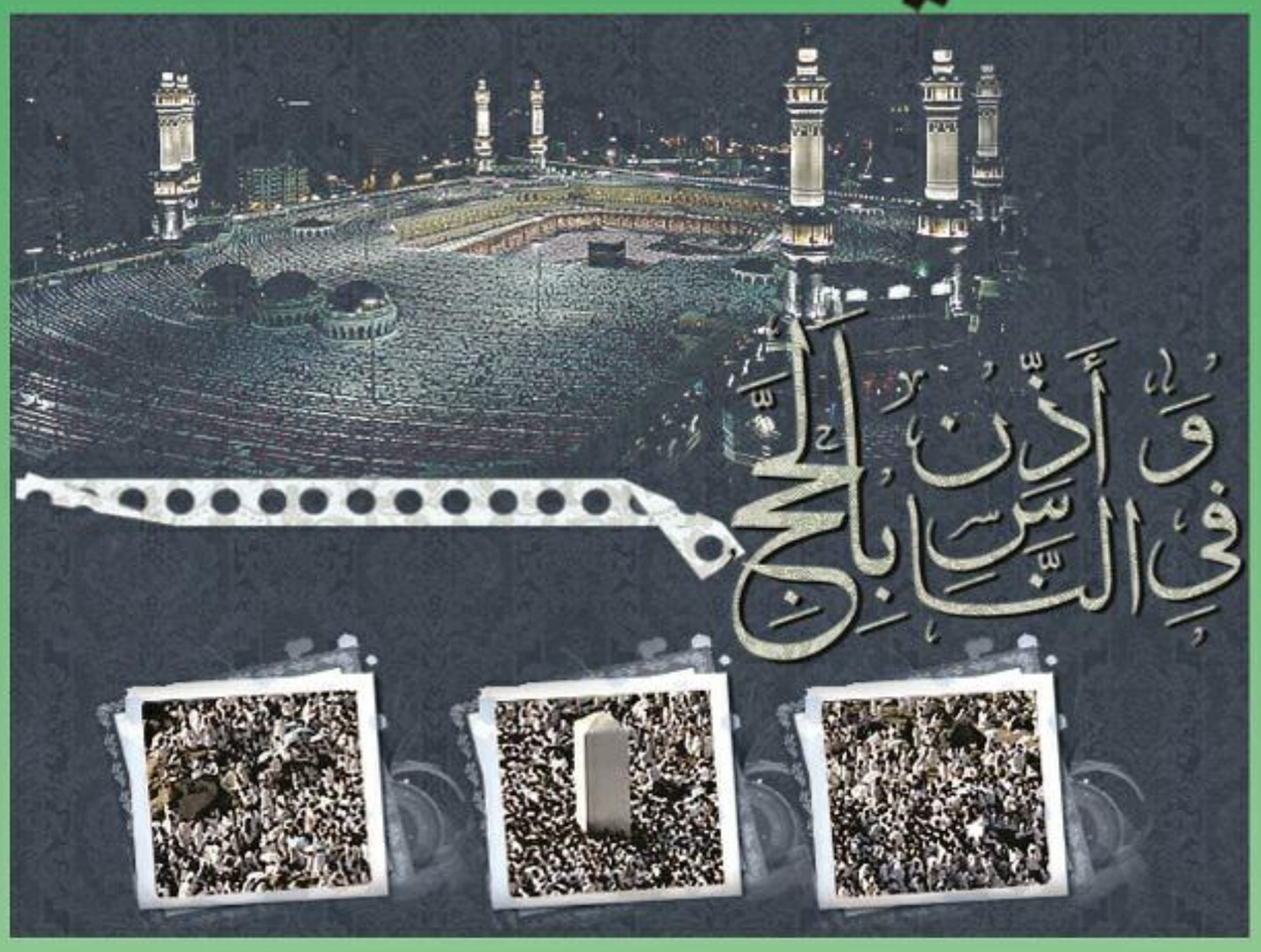

سهيل المغربيّ

قالَ تعالى في سورةِ الحجّ: الآية٢٧

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

وقولُهُ " وأذّن في النّاسِ بالحجّ " أي نادِ في النّاسِ بالحجّ داعيًا لهم إلى الحجّ إلى هذا البيتِ الّذي أمرناكَ ببنائِهِ فذكر أنّهُ قالُ يا ربّ كيفَ أبلّغُ النّاسَ وصوتي لا ينفذُهم فقالُ نادِ وعلينَا البلاغُ فقامَ على مقامِهِ وقيلُ على الحجرِ وقيلُ على الصّفا وقيلُ على أبي قبيس وقال: يا أيّها النّاس إنّ ربّكم قد اتّخذُ بيتًا فحجّوهُ. فيُقالُ إنّ الجبالُ تواضعتْ حتّى بلغُ الصّوتُ أرجاءَ الأرضِ وأسمعَ من في الأرحامِ والأصلابِ وأجابَهُ كلّ شيءٍ سمعهُ منْ حجرٍ ومدرٍ وشجرٍ ومن كتبَ اللهُ أنّه يحجّ إلى يومِ القيامةِ لبّيكَ اللهمّ لبّيكَ هذا مضمونُ ما وردَ عنِ ابنِ عبّاس ومُجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحدٍ منَ السّلفِ.

كثيرًا ما تستوقفُني هذه الأيةُ لِما أرى من لهفةِ النّاسِ على تلبيةِ النّداءِ عبرَ التّاريخِ والأزمنةِ على اختلافِها ! فلو لمْ يكنْ للقرآنِ معجزةٌ وللإسلامِ حجّةٌ غيرَ هذِه لكفتْ.

ليتها توقّفت واستمعت

الفرحان بو عزّة

... الزّمانُ ينذرُ بأوّلِ دمعةٍ من السّماءِ، والشّمسُ تودّعُ المساءَ، خفت أن يجرّ الموتُ وشاحَه عليّ قبلَ الوقتِ، وينشرَ على جسدي شكلَه الأبيضَ فأموتُ غريبًا .. عشرون سنة مضتْ، والزّمنُ يأكلُ عمري، يخنقُ أنفاسي. ظلمة حالكة تتجوّل بين الحيطان، لا أعرف متى أشرقت الشّمسُ ومتى غربَت. حياة تُخفي تحتَ ستارِها ألغازًا وطلاسمَ محيّرةً، نغمةُ حـــزنٍ تخيّمُ على المكانِ .. كلّما زحفت الأيّامُ إلى الأمام، ينتصبُ بينَ عينيّ أملٌ فضفاضٌ، ومعَ ذلك تحـــيا العروقُ وتتجدّد معَ الأيّام المندحرة ... خلفَ الجدران وقفت أنبشُ صمتَ الفضاءِ، أتشمّم سطحَ الزّمنِ الباقي. دقّاتُ السّاعةِ تقضمُ ما تبقّى من عمري ثانيةً ثانية، تعانقت عقاربُها، تخيّلتُ أنّني أعانقُ الأهلَ والأحبابَ. خيالي يقرّب المسافاتِ، وبـــريقُ أملٍ يرتعشُ ويتقوقـــعُ داخلَ نفسي بالتّدريج ..

ما أن تخطّيت عتبةَ بابِ السّجنِ، أغلقهُ الحرّاسُ من ورائي بعنف. جفلتُ من ظلّي، خرجت وشعيراتُ رأسي القديمةُ تعانقُ الضّبابَ الأبيضَ، اختنقت وردةُ الصّبا، اندحر الشّبابُ مخلّفًا وراءَه وجهًا شاحبَ اللّونِ، وأسنانًا مكسورةً اكتسحها الخمجُ الأسودُ .. أيّامي جراحٌ باليةٌ نقشـــت كتجاعيدٍ يابســـةٍ على وجهي، لم تتوانَ الجدرانُ أنْ تجاهرَ بـــعدائِها طولَ هذه المدّة. أسرعتُ في خطاي والخوفُ يشدّ على قلبي، لا أدري لماذا كنتُ مستعجلًا في مشيتي ..؟ ! وجدتُ نفسي في الشّارعِ الكبيرِ، لا أحد ينتظرني .. توقّعت ذلك ..؟! مرّة أخرى ألقيتُ نظرةً على أسوارِ السّجن، يغلب عليها اللّونُ الأحمرُ، عالية وسميكة تسرق الزّمن، تقتاتُ من دمِ الأبرياء. كم من مرّة هممتُ أن أتسلّقها من الدّاخل، لكنّ الرّصاص كان يرقـــبُني باستمرار.. تتغيّر الأحوالُ كلّما ارتجفَ الزّمنُ .. ! تشابهت عليّ الشوارعُ، وارتجّت الأزقّة من شدّة اختناقِها بأجسامٍ بشريّةٍ .. تصارعُ الزّمنَ الرّاجفَ وهي صامتةً ... أســـأل عن محـــطّةِ المســـافرين، أعيدُ السّؤالَ . !! الكلّ في عجلةٍ، الكلّ يعتذرُ، يخطون ويخطون. لا يتوقّفون ولا يستمِعون، السيّاراتُ تـــنغـــلُ كالنّملِ. بكيت دموعًا مالحةَ الطّعمِ، قد أتعرّى في الشّارعِ ولا أحد يردّ ملابسي، قد أمـــــوتُ فلا يعرفـــني أحد ..؟

قريتي لها نكهةٌ خاصّةٌ، مذاقُها متميّزٌ .. كلّما حفرت الذاكرة تترقرقُ في عينيّ. سرتُ إليها والظّلامُ الدّامسُ يغمرُها، النّاسُ في سباتٍ عميقٍ. تجاوبتِ الكلابُ في نباحِها فحاصرتِ الرّقمَ الغريبَ ..! وقفتُ على أطلال متآكلةٍ تتنفّس بصعوبةٍ تحـــتَ شعاعِ القمرِ. أنقاضٌ ميتةٌ، بناياتٌ منزوعةُ الأسقـــفِ قـــصمها الدّهرُ، قـــست عليها الأمطارُ والعواصفُ .. تنوحُ على الماضي الميّت، وتبكي على أيّامِها المتبقيّة. غولٌ ضارٍ يجوبُ زوايا المعمور، يغنّي ويصدح بموّالِه الحزينِ. أعصابـــي تتقاتـــلُ فيما بينها، سعارٌ حادّ ينهشُ جسمي. صحتُ صيحةَ الموتى في القبورِ. تلاشيتُ على مصطبـــةٍ متآكلةِ الأطرافِ، تسكنها حشراتٌ من مختلفِ الأصنافِ، ساحت أتربةٌ كثيرةٌ في كلّ الجهاتِ.. حصًى رقيق ينسحقُ تحتَ أقدامي، قصب بالٍ يـــئنّ تحت حذائي..! أين ذهب الجميع ..؟ ماذا حلّ بالمكانِ ..؟ قلتُ في نفســـي: ماذا يخبّئ لك الزّمان يا عيّاد من جديد؟

تقدّمت بخطًى ميتة وحقّ الأهل مكتوبٌ على الجدرانِ المنهارةِ، لا أحد يجيبني؟ سألني الماضي، كلّمني الحاضرُ، هنا كان يجلسُ أبي يشرب الشّاي الدافئ، هناك كانت أمّي تتخلّل الدّقيق... في هذا البيتِ قاسمتني حليمةُ الحصيرَ، والجوعُ يؤاخينا على الحلوِ والمرّ، والصّدق والوفاء يسكنان قلبينا ..؟! أين أنت يا حليمة ..؟ أين ابني ..؟ ترى ما اسمه ..؟ في ذلك اليوم الأسود ،همست بين القضبان بصوتٍ عالٍ: لا أستطيع الانتظارَ..؟ الحياةُ انتهت معك يا عيّاد في نصف الطّريق .. غرقتُ في أسفٍ شديدٍ، ردّدت معَ نفسي كالمخبول .. ما كنت قاتلًا لجاري؟ ما كنت مجرمًا؟ لفّقوا، كذبوا، كتبوا وحكموا .. ليلٌ حالك يلقي نظرتَه الأخيرة على المنزلِ المنهارِ. ينسحب في هدوءٍ تاركًا وراءَه أنوارًا مشعّةً. سكونٌ قاتلٌ يجثم على أنفاسِ القريةِ، يعزفُ نغمات الخواء ..!

جاء الصّبحُ ينازعُ الظّلام، والنّهار يزحفُ في تؤدة .. برزت أطلالٌ من الدّور المتآكلةِ منبتةً هنا وهناك .. كأنّ حربًا ضاريةً حلّت بها... سكنني رعبٌ مخيفٌ، وموتٌ قاتلٌ يتربّص بفؤادي ويراقبُ جريانَ دمي، وفي لحظةٍ ما سيخرجُ عن مجراه ، وتحدثُ الكارثةُ .. ! تلهّيت بالحسرةِ والأسى، والآهات تأكل وتقتات منّي، تفتّت عمري بين ظلمةِ الزّنازن، فلم أعد أقوى على مجابهةِ المصير.

فجأةً، دبّت مخلوقاتُ القريةِ متباطئةً في حركتِها. بقبضةِ يدي حاولت أنْ أدقَّ على الجيرانِ، ولكن... سألت عن الأصحاب القدامى بالكلمة الطيّبة .. فلا زمن يحمل الذّكريات، الكلّ يفرّ من أمامي، تمنيت أن يتخطّفَني الموتُ قبلَ أنْ تحرقَني النظراتُ الثّاقبةُ ..

ـــــ ما مصيرُ أرضِنا..؟ الأرضُ لا زالت في مكانِها، تربتُها لمْ تتغيّرْ، ولكنّ حدودَها تناقصَت. فالأكاذيبُ تتفرّقُ وتتّسعُ بدون حدود، والتّزوير على الأموات موجود في القرية قبل أن تقتلَ الشّمسُ النّجومَ .. ما باعَ أبي أرضَه، بل انتُزِعت منه بالقوّة، مات وهو يلوكُ بينَ شفتيهِ حسرتَه .. أخذني الدّوارُ من ناصيتي، ارتجّت أطرافي كلّها، تفصّد العرقُ منّي، بعيونٍ جاحظةٍ تزحزحتُ من مكاني متثاقلًا لا ألوي على شيءٍ، ضاعَ الأهلُ، ضاعت الأرضُ ..

رجعتُ قافلًا إلى المدينةِ، والزّمنُ قد أدبَني ولا أرغبُ أن أعودَ من حيثُ أتيتُ، صراخٌ صامتٌ يستبدّ بي. والشّمسُ توشكُ أن تتهاوى على عجل. تهتُ أمضغُ المرارةَ في زنقةٍ تدعى السّكاكين، أرضيّتها يحتلّها الباعةُ المتجوّلون، لا يتركونَ منفذًا للمارّةِ، وصلتُ إلى بابِ السّوق المركزيّ، لمحتُ عدّة أقفاص معلّقةً على الجدرانِ، بداخلها طيورٌ جميلةٌ وغريبةُ الألوانِ، تُطعم بالتّقسيط، تقرأ سرّ البشرِ في صمتٍ. وما هذه الطّيور إلّا مخلوقات ضعيفة فقدتْ حريّتها بسببِ ظلمِ الإنسانِ ..؟ اعتصرتني الغربةُ، أخذ الحزنُ ينشّ داخلَ فؤادي كالقدرِ الذي فقد غطاءَه، وأنا متأكّد أنّ أعوامَ الشّقاءِ لم تنتَهِ بعد.. داعٍ يدعو إلى صلاةِ المغربِ، تدحرجتُ عبرَ دربٍ ضيّقٍ إلى مسجدٍ تاريخيّ، فبرزت لي مئذنتُه البالية تخرقُ الفضاءَ في شموخٍ. تجمّعتِ النّساءُ عندَ عتبةِ المسجدِ قبلَ المصلّين يطلبن إحساناً. انتهتِ الصّلاة، فتعالت أصواتٌ مختلفةُ الإيقاعِ تدغدغُ العواطفَ، تمنع في العمق استفحالَ الجوعِ .. صوتُ امرأةٍ يخرقُ القلوبَ.. كانت كلماتُ الاستجداءِ تنضجُ في فمِها كما تنضجُ الفواكه قبل الأوان، تنساب إلى فناءِ المسجدِ فتهتزّ الأجسامُ ...هزّني تيّارُ الصّوتِ الجارفِ، قلتُ:

ـــــ من يصدحُ بهذا الصّوت الحزين ..؟

هممت أن أمدَّ يدي إلى جيبي فتذكّرتُ أنّي لا أملكُ إلّا القليلَ من الدّراهم .. وكانت مفاجأةُ الزّمنِ قاتلةً ..؟ ـــــ من ..؟ زوجتي..؟ حليمة ..؟

جدليّةُ العقلِ والدّينِ
عندَ البابا المستقيلِ

خليل حلاوجي

العقلُ في الإسلامِ له حدودُه في فهمِ الواقعِ وتلقّي النصّ القرآنيّ، فهناك مسائلٌ لا يمكنُ فيها التيقّن فيها عقليًا، من حيث أن: (حكمةُ الخالق فوقَ عقلِ المخلوق) وبالتّالي علينا أخذُها عن طريق فهمِ مرادِ النصّ الّذي جاء به الوحيُ، إذ كيفَ تبرهنُ عقولُنا ما لا عينٌ رأت ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ (في وصفِ الجنّةِ : مثلًا) وبالتّالي كان هدفُ الشّريعةِ أن تعطيَ للعقلِ دورًا واسعًا في عقلنةِ المسائلِ الحياتيّةِ لكنّه دورٌ محدودٌ في عقلنةِ المسائلِ الّتي تخصّ ذاتَ اللهِ تعالى فوصيّةُ النبيّ محمّد كانت واضحة: {تفكّروا في خلق اللهِ ولا تفكّروا في الله } وهنا يفترقُ الفكرُ الإسلاميُّ عن الفكرِ المسيحيّ الّذي واصلَ الخوضَ بل والخلطَ بينَ المسيح [الناسوت] وهو إنسانٌ وبينَ الله[اللّاهوت] وهو الإلهُ الواحدُ الأحدُ، وهذا يقودنا إلى فهمِ مصطلح العلمانيّةِ الغامض .. إنّ الغربَ اليومَ لديهِ صورةٌ مشوّهةٌ عن [الإيمان] لذا استعصمَ بالعقلِ كقائدٍ يقود تفاصيلَ الواقع، وهذا ما جعلَ لقاءَ رأس الكنيسةِ [البابا بنديكتوس] ورأس فكر الحداثةِ [هابرماس] يأخذُ بعدًا نستعينُ به لفهمِ جدليّةِ العقلِ والدّين.

كان هدفُ البابا السابق يوحنّا بولس تغييرَ العالمِ عن طريق مواجهةِ الشّيوعيّةِ وأمّا البابا بنديكتوس فانشغلَ بمسألةِ الإيمانِ واستعادةِ "روح الكنيسةِ" من طريق الالتزامِ بالتّقاليدِ المسيحيّةِ العريقةِ، فانكمشَ على نفسِه ودعا للعودةِ إلى الذاتِ وتحقيقِها بالابتعادِ عن التّفسيراتِ الاجتماعيّةِ والسّياسيّة للدّين. وتمسّك بتقاليد الكنيسةِ المعروفةِ منذُ قرون فالرّجل رجعيّ المنهج لا يقرأ علاماتِ الزّمن ومتغيّراتِه منشغلًا بالعملِ الخيريّ متجاهلًا جبروت العلمانيّةِ وهي تتجاهلُ أثرَ المسيحيّةِ في المجتمع. وهكذا تأتي استقالتُه مؤشّرًا للانقسامِ داخل الكنيسةِ بوجودِ رؤيتين تتنازعان هما الفكرُ(الأصوليّ) و(التجديديّ) فالقضايا غير المحلولةِ في تزايُدٍ منها فكرةُ عزوبيّةِ الكهنةِ وأثرها على حوادثِ اعتداءِ الكثير منهم على الأطفال، وأيضًا ارتباكُ مؤسّسةِ الكنيسةِ واضطرابِ تنظيمِها الهرميّ المتشدّدِ، وثالثًا الفسادُ الإداريّ والماليّ وأثره الاجتماعيّ على راهنيّةِ الواقع المأزوم، فالإنسان الغربيّ في تراجع عن الطّبيعيّة الإنسانيّةِ، وهذه المجتمعات الليبراليّة العلمانيّة استبدلت الحافزَ العقليّ للفعل التواصليّ بالعاطفيّ الانفعاليّ. فالإعلامُ يروّجُ لحوار الحضاراتِ بينما الحوار الفعليّ بينَ البشر هذه الحروب وهذه الدّماء تُسفكُ ففقد الإنسانُ إرادتَه المستقلّة وصارَ خاضعًا لـ"ديكتاتوريّة الهيمنةِ والاستهلاكِ" كرهًا لا طوعًا. فمن يرسمُ تفاصيلَ العلاقاتِ الدوليّةِ هي الآلةُ الحربيّةُ فتوقف مسارَ الحوار مع الدّياناتِ الأخرى الذي شهدَ دفعة قويّة في عهدِ سلفهِ.

إنّ اعتزالَ البابا يؤشّرُ كإقرارٍ ضمنيّ على عدمِ نجاحِه في مشروعِه الّذي أطلقَ عليهِ "إعادةُ أوروبّا للمسيحيّةِ" فقد عبّر عن هذا الطّموح في حواره معَ " هابرماس" بعدَ أنْ تحوّلَ إلى ناقدٍ جذريّ للعلمانيّةِ الغربيّةِ في سماتِها الوضعيّةِ الذاتيّةِ من حيث أنّ إشكاليّة العلاقةِ بينَ الإيمان والعقل، إنّه يقولُ عن علمانيّةِ اوربا أنّها "حداثة عدميّة متآكلة" فلا يمكنُ أنْ تعوّضَ الدّينَ بالعقل، وبالتّالي انتهت إلى هدمِ العقل في أسسِه ومقوّماتِه بهيمنةِ العقلانيّةِ الأداتيّةِ والنسبيّةِ الأخلاقيّةِ.

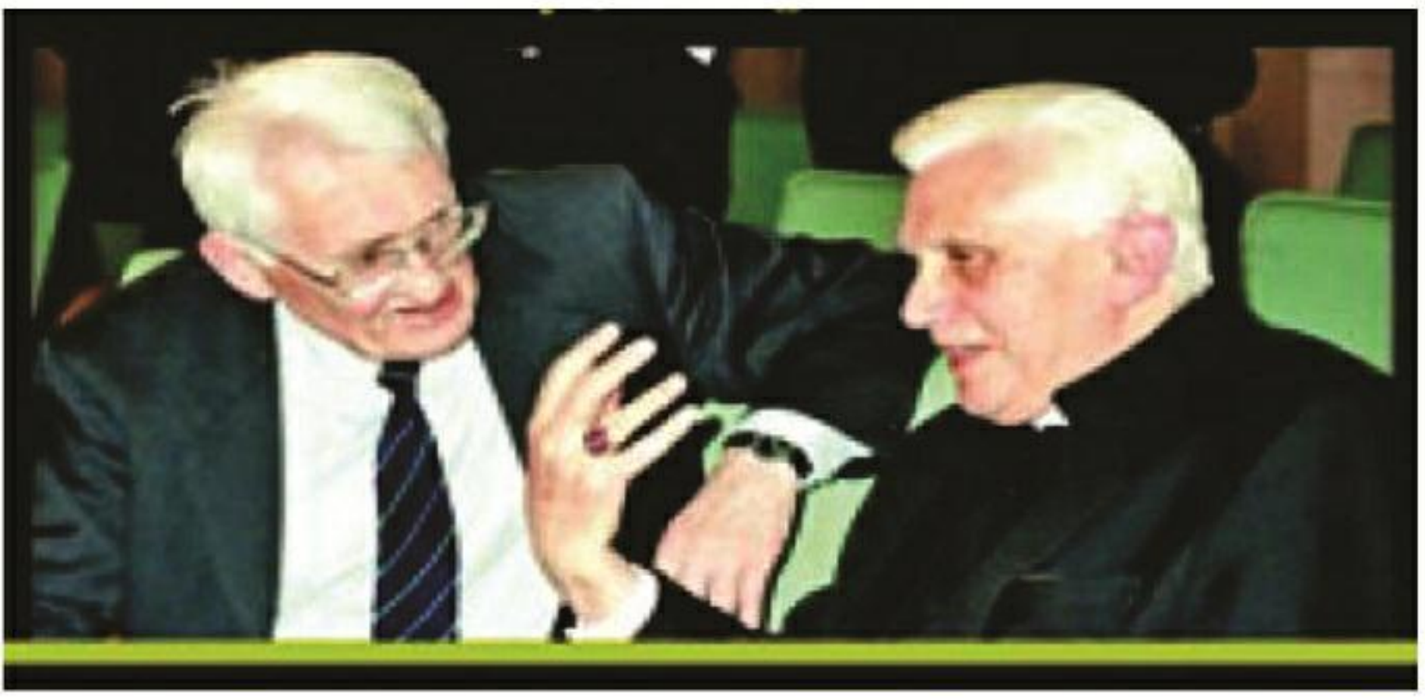

علينا التنبُّه إلى أنّ العقلانيّة الّتي دعا إليها ليست عقلانيّة الحداثةِ، وإنّما عقلانيّة الإرثِ اليونانيّ - المسيحيّ الّتي تقومُ على مذهبيّ "اللّاهوت الطبيعيّ" (البحث عن اللهِ من خلال البحثِ عن معنى الوجودِ) و "الحقّ الطبيعيّ" (أي القيم الكليّة الجوهريّة الّتي يحدّدها العقلُ). ولكنّ الواقعَ يفضح هذا التلاعبَ اللفظيّ من حيثُ أنّ ثمّة علاقة بينَ الإيمان والعقل يقولُ عنها أنّها تنهار معها الحريّة نفسها، فالحداثةُ تجعل الحريّة شرط العقل بينما الكنيسةُ تجعلُ العقلَ اللاهوتيّ شرط الحريّةِ .. ولن يلتقيَ هذان المساران حتّى تقوم السّاعة.

الحديث عن ابن عباس .قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٢٩٧٦ في صحيح الجامع للألباني

الحلالُ والحرامُ

يحيى البحاري

تأمّلها وهي على راحةِ يدِهِ.. فقط عشرة قروشٍ، يمسـكُ بـها ويضغطُ عليها بقـوّةٍ وفكرُهُ مشـغولٌ. ما الّذي كانَ سيحدثُ إنْ لَمْ يجدْها؟ سيحدثُ الكثيرُ! أهذا لا يعني أنّه سيحـدثُ الكثيرُ الآن؟ ظلّ يتقـلّبُ على فراشِهِ، ونفسُهُ تتوقُ إلى الرّاحـةِ، أنْ يخلدَ للنّومِ ولو قـليلًا وأفكارُه تطردُ النّعاسَ من جفنيهِ، يحاولُ أنْ يجدَ مبرّرًا يقـنعُ بـهِ ذاتَه والآخرينَ، فهوَ على حقٍّ دائمًا طالما أن واحدًا زائد واحدٍ يساوي اثنين.

- أبوجلاال

هكذا نادتهُ زوجتُهُ وهيَ في غفوتِها وأنفاسُها تنخفضُ.

- إنتَ نائم؟

- نعم يا أم جلال

- طيّب نام يا أخويا وبدأتْ أنفاسُها تعلو وتهبط في انتظام.

عبد الهادي الجزولي وكنيتُه أبو جلال واحدٌ من الّذين لفظتهم الوظيفةُ الحكوميّةُ بحجّةِ تدهورِ صحّتِهِ أو هذا ماجاءَ في تقريرِ لجنةِ المراجعةِ السنويّةِ.. مجابهتُهُ لتفشّي الفسـادِ في الخدمةِ المدنيّةِ كانت وراءَ فصلِهِ من منصبِهِ، واكتفى بما منحتْهُ لهُ الدّولةُ من معاشٍ ضئيلٍ، لا يكادُ يكفيهِ مع زوجتِهِ لشراءِ ضروراتِ الحياةِ، بـعدَ استقـلالِ كلٍّ منْ ولديهِ بحياتِهِ الخاصّةِ، جلالُ الّذي هاجرَ إلى كندا وظلّ يرسلُ إليهِ منَ الحينِ للآخرِ مبـلغًا منَ المالِ لإعانَتِهِ، وسـامي الذي تزوّجَ بعدَ تخرّجِهِ من الجامعةِ، ثمّ ألهتهُ الحياةُ مع زوجتِه. كانَ عبدُ الهادي الجزولي قانعًا بما قدّمه لأسرتِه الصّغيرةِ.

يولي القطعةَ المعدنيّةَ كلَّ اهتمامِهِ ويتساءَلُ ماذا كانَ سيفعلُ بها صاحبُها؟

ليتهم تفقّدوا خاصّتهم، قبلَ أن ينفضَّ مجلسُهم، علَّ شيئًا مهمًا قد قفزَ من جيبِ أحـدِهم. السـؤالُ الذي لَمْ يفارقْهُ طوالَ اللّيلِ.. لمن تكون ملكيّتها؟ أحمد الثريّ الّذي إن قالَ له لكَ عشرة قروشٍ عندي، سـخرَ منه ومن فكرِه ونعتَه بالمهووسِ، أم هيَ خاصّة زميلهما يوسف المتعجرف، الذي إن سألَه سينظرُ إليهِ بازدراءَ ثمّ يقولُ: أيوجدُ من يتحدّثُ عنْ عشرةِ قروشٍ هذهِ الأيّام؟ حـتّى الأطفال صاروا أيضًا ممّن لا يرضَوْنَ بـها. وربّما زادَ من عجرفتِه وأسـهبَ في الشّرحِ والتّفصيلِ ولعنَ الحكومةَ وتدهورَ الاقتصادِ وزادَ منَ اتّهامِهِ لهُ، بأنّه يعقّدُ الأمورَ ويعملُ منَ (الحبّةِ قـبّةً). عشرةُ قروشٍ! ماذا سيفعلُ بها؟ والحقّ يجبُ أنْ يرجعَ لأصحابِهِ. قديمًا قـيلَ أنّ أحـدَهم عثرَ على قـرشٍ من فضّةٍ.

وبعدها صارَ منَ الأغنياءِ الّذين يتحكّمونَ في اقتصادِ البلادِ! ولا يعلمُ أصلَه أحدٌ، إن كان طيّبًا أو مُرًّا أو علقمًا، ولكن مالُه تنامى وزادَ وصارَ من أصحابِ الشّركاتِ. وقيلَ أنّ جنيّةً منحتهُ إيّاه وقالتْ له إنْ أردتَ الغنى عليكَ بالاحتفاظِ به وإن أضعتَه ضاعتْ حياتُك وعشتَ حياتك فقيرًا تسألُ النّاسَ لحافًا والحياةُ حظوظٌ. رنّتِ الجملةُ الأخيرةُ في عقـلِه وتخيّلَ نفسَه وقدْ أصبحَ من الأغنياءِ، ولكن ثمّةَ خاطرٍ طافَ بذهنِه أي من صاحبيه مالُه طيّبٌ؟!

مواءُ القطّةِ يأتيهِ من خلفِ النّافذةِ المغلقةِ.. مياااو، مياااو.. كأنما تقولُ افتحْ لأدخلَ فالبردُ قارسٌ بالخارجِ وكومةُ اللّحمِ إلى جوارِه تقولُ: أبو جلال إنت نمتَ؟ هِش على القطّة

وتعاودُ أنفاسُها الانتظامَ

تزوّجَ أبو جلال كشأنِ معظمِ أبناءِ جيلِه الّذين لا يعرفونَ عنِ الزّوجةِ غيرَ أنّها واحدةٌ منَ الأقربـاءِ، لا بـدّ أنْ يكونَ اسمُها مقرونًا باسمِ الزّوجِ سواءً منْ ناحيةِ الأبِ أو الأمِّ ولأنّ أمَّ جلال ابنة عمّهِ كان هذا هو المحمل الّذي يدفعُ بسفينةِ الأسرةِ دون أنْ تتوقّفَ أمامَ صروفِ الدّهر.

هجدتْ القطّةُ.. فكانت هي الرّوح الثالثة التي يضمّها سقـفُ المنزلِ!. الأنفاسُ التي تتصاعدُ وتنخفضُ في انتظامٍ لم تكنْ هذه المرّة هي تلكَ الأنفاسُ الّتي نعرفُها، لأنّ أمّ جلالٍ تجلسُ على السّريرِ وهي تربـطُ الإشـارب على رأسِها، وتناديه: - أبو جلال

لم يردّ - يا أبوجلال، ولم يردّ عليها.. وتهزّه من كتفِه.. أنفاسُه تتصاعدُ في انتظامٍ - أبو جلاااال

يهمسُ بصوتٍ متقطّعٍ:

- القطّة؟

- الصّلاة نهضَ متثاقلًا كغيرِ عادتِه، وهو يتحسّسُ ما في جيبِه، ويشرعُ في استقبالِ يومٍ جديدٍ! عندما تعثّرَ في مشـيتِهِ وهوَ في طريقِه إلى المسجدِ ظنَّ أنَّ الأمرَ نذيرُ شؤمٍ يتعلّقُ بالعشرةِ قروشٍ، تحوقَلَ وتبسـمَلَ من همزاتِ الشّياطين. بعدَ أدائِهِ لصلاةِ الفجرِ، وقفَ الإمامُ يخطبُ "إن كانَ لدى أحدكم شيءٌ لا يخصّه، عليه أنْ يردَّهُ لصاحبِهِ." توجّسَ في نفسِهِ كأنّما هو المقصودُ بالنّصيحةِ، فأوشكَ أنْ يسألَ الإمامَ: - حتّى إنْ كانت عشرةَ قروشٍ؟

أرسلَ في طلبِ صاحبَيْهِ، فأتياهُ على عَجَلٍ، كلاهُما يحثّ الآخرَ على الوصولِ، علَّ الأمرَ جللٌ، عندما دخلا عليهِ وقفَ متكدّرًا، وأحسّا في نبراتِ صوتِه توتّرًا، ضمّ يدَه على القـطعةِ المعدنيّةِ، ورفعَ سبّابـتَه في وجهيهما قـائلًا: - إنْ كانَ لأحدِكما عندي قطعةٌ من نارٍ فليطفِئها.

زيارة سلطانية

مسرحيةٌ ذاتُ فصلٍ واحدٍ

بهجت عبدالغني الرشيد

المشهدُ :

الوقتُ أصيلٌ .. أرضٌ ترابية مرتفعة .. الشمسُ تسحبُ خيوطها منَ الأفق تدريجيًّا .. أصواتُ رياح تحملُ معها بعضَ الدخان ...
تدخلُ خيّالةٌ إلى المسرح .. يقفون متأملين المَدى .. يحفزّ فارس فرسَه ليتقدمَ بضعَ خطوات إلى الأمام ..
يشير بيده ..
الفارس : ألهذا فتحنا البلادَ !
عبد الرحيم : (منبهًا) مولاي ! السلطان : نعم يا عبدَ الرحيم .. نعم .. فلا يجوزُ أن تُبطلَ أجورنا بأقوالنا ..
(ملتفتاً إلى من حوله .. مخاطباً).. ولكن أترون أيها السادةُ ؟ أترون ؟ هل سيذهب جهاد سنينَ مترعةٍ بالدماء والأشلاء والأرواح ؟ هكذا في لحظاتٍ ! لحظاتٍ تنتصر فيها الجاذبية الأرضية على سموِّ النداء !
الحضور : (يحدق بعضهم في بعض بتثاقل ، ثم ينشط عبدالرحيم للكلام)..
عبد الرحيم : مولاي ! .. أتظن أن تلك الدماء ذهبت سُدى ، أم أنها كامنة في الضمائر تغلي ، تنتظر ساعة الانطلاق .. ساعة الانبعاثِ من الرماد من جديد ؟
السلطان : (بحيرة) لا أدري .. حقاً بات كلُّ شيء هنا مختلفًا .. مخيفًا ! أتذكرون حينما تركناهم و راياتُ الحق تعلو وتخفقُ فوق المعمورةِ ؟ أتذكرون يومَ كانت عبادةُ الجهاد صنوَ عبادة السجود .. أن تقوم الليل أو تعبِّئ المقاتلين لا فرقَ .. (بحزن و حسرة) وهنا لا تسمع إلا قراءةً دونَ إيمانٍ .. وفلسفةً تبررُ الضعفَ والهزيمة !
أحدُ الفرسان : (مؤكدا بفخر) وكذلك كنّا .. ثم استيقظنا على نداءاتِ الإيمان ، فتحركت جموعنا صوبَ أهدافِها المنشودةِ ، تُحرق السدودَ ، وتجتاز العراقيلَ ، لا يُفلتُ فارسٌ عنانَ فرسه بعد فتح ، إلا وكان آخرٌ يدكّ سورًا آخرَ وسْط قذائفِ النار ، يستقبل وابلَ القِير المغلي برأسه ..
السلطان : (مؤكدا على قوله) صدقتَ .. كنّا كذلك .. وأذكرُ تلك الأيام الخوالي جيدًا ، إنها محفورةٌ في تلافيف الدماغ ، جزءٌ من ذاكرتي .. كم ذاقت أمتُنا الويلاتِ , من السلطة وألاعيب السياسة !
عبدالرحيم : (بأسى واضح) نعم هي السياسة ودهاليزها المظلمة , مرةً أخرى تسحبنا نحو السقوط والانهزام ، نحو التشتت وفقدان جاذبية المركز .. تحولنا إلى غثاءٍ يطفو على السطح يلعب به السيل كيفما شاء !
السلطان : (يهزّ رأسه موافقًا)..
عبدالرحيم : (متحمسًا) ولكنّ شعوبَنا لم تعرفِ الموتَ في تاريخها .. إنها كالصحراء ، تبدو من الوهلة الأولى رمالًا لا تحمل إلا الموتَ والفناءَ والجفافَ ، (مستدركا) لكنّ هذا الجفافَ الذي يعلو سطحَها الممتدَّ ، والموتَ الذي يبسط يديه في آفاقها اللانهائية .. لا يعني النهايةَ بالضرورة .. بل يكون أقربَ ما يكون إلى الاعتزال الصوفيِّ ، سرعانَ ما يتفجَّر عن طاقاتِها المكنونةِ في أحشائِها .. يتفجّرُ عن حياة متدفقة , ملؤُها الإبداعُ والألق ..
السلطان : (في سكون لا يخلو من عَجَب) .. كلامٌ مطمْئِنٌ ..

صوت إنفجارٍ مدوٍّ ..
صوت رجل من خارج المسرح :
الرجل : (بفرح بالغ) إذن فعلها !؟
صوت : (يجيبه بنفس الحماس) أجل .. وفي الهدف ..
صوت جماعي : الله أكبر .. الله أكبر ..

يدخل المسرحَ شيخٌ جليل مهيبٌ .. وقد علت الدماءُ لحيتَه البيضاءَ .. على كرسيٍّ متحرك .. الشيخ المهيب : بصوت جهوري حماسي) أيها السلطانُ العظيم .. يا من سقطت على أقدامه الدولُ .. ووقفت على أعتابه الملوكُ .. ودانت له الرقابُ .. فملأ أسمُه

الآفاقَ .. وكان في عهده الوئامُ والوفاق .. أتُراكَ قدِمتَ راثيًا حالنا أم أتيتنا بالتاريخ لتنيرَ أمامَ أجيالنا دروسَه وعِبَرَه ؟
السلطان : (مخاطباً باستغراب وتلهف) من أنت ؟ آه .. بحق الله من أنت ؟ فإني لا أخطئُ هذه الرائحة أبدًا .. إنها عبقٌ ملأ كياني كلَّه ..(يغمض عينيه و يأخذ نفسا عميقا) المسجد الأقصى وعبيره ..(يعود لمخاطبة الشيخ المهيب) هل أنت من هناك ؟ فوالله إني لألمح في قسماتك سماحة أهل الزيتون .. وهذه الدماءُ القانيةُ أعرفُها جيدًا .. أمِنْ تلك الديار أنت !؟
الشيخ الجليل : (والدموع تبلّل لحيته) نعم أيّها السلطانُ المعظَّمُ .. أنا من هناك .. من بلد الزّيتون الأحمر ..
ينزل السلطان من فرسه .. يتعانقان ..
السلطان : (باستغراب) أصحيح ما تناهى إلى أسماعنا من أخبار ؟ (بأسى) الحقيقة , إن ما رأيناه كئيبٌ حزينٌ ..
الشيخ المهيب : (والعَبرة تخنقه) واخجَلاه ! كيف أنقل إليك الخبر أيها السلطان المعظم ؟.. كيف سأقولُ إنّ ما بنيتَه قد تهدَّمَ ، تفرّقَ ما وحَّدْتَ .. تنجَّسَ ما طهَّرْتَ .. فرَّطوا فيما ضحّيتَ من أجله .. يا سيدي لقد بُعِثَ العجلُ السامريُّ من جديدٍ !
السلطان : (بألم) هناك في عمق الزمن نحطم الأصنام بكل أشكالها ومعانيها ، وهنا في حاضرة القدس (ضاغطا على أضراسه) تُنسَج الأساطيرُ ثانيةً على ترانيم الأحبار ! (مخاطبا عبد الرحيم بصوت يكتمه الغضب و الألم) أتسمع أيها القاضي الفاضل ؟ لقد عاد العجل السامريّ (يضرب بكفيه على جانبيه).. ها .. لم يرضَوا يومًا بالمنّ والسلوى ..(يشد على كلماته) يغريهمُ الشرابُ في جماجم البشر على أطلال الخراب !
عبد الرحيم : (مؤكدًا) هكذا نطق كتابهم المقدس !
السلطان : (بغضب)أما من رجلٍ أطلّ برأسه ينظرُ فعلَ هؤلاء الغوغاءِ فيوقفُهمْ عندَ حدّهم ؟ (بتوعُّد) آهٍ لو كنتُ هناك لدفنتهم في سابع أرض .. ولجرَّعتهم العلقم .. (بانزعاج) أين كان الرجال ؟
الشيخ المهيب : (بشيء من الحسرة) الرجال !! (مستدركاً) ولكنّي لا أريدُ أن أغالطك يا سيدي وأقول إنهم لم يفعلوا شيئًا ، بل فعلوا لا شك في ذلك .. لكنّ الأمر حينها تعدى مسألة أشخاص .. إن أمة بأسرها كانت تعيش لحظاتِ إنكسار تاريخيٍّ عميق .. عميق بقدر ذلك الفارق بين أمسنا ويومنا ..
السلطان : (باستغراب) هكذا .. وبهذه البساطة ضاع كل شيء !!
الشيخ المهيب : (بألم يعتصر قلبه) ضاع .. نعم ضاع .. ولكن ليس إلى الأبد .. لا يا مولاي .. لا .. إن شعوبَنا تنامُ ولا تموتُ ، (مذكّرًا) ألسنا أمة الخير ؟ والمطرُ لا يعلمُ أأوله خير أم آخره ؟ (معلنا بشكل واثق) إن أبناء الجارية - كما يسموننا - أصبحت أمةً .. والحجرُ الذي رفضه البناؤون صار رأسَ الزاويةِ ..
السلطان : (حاثًّا) العملَ أيها الشيخُ العملَ .. فذاك وايمُ الله هو المحكُّ .. والفيصلُ .. فليس ثمة شيءٌ عانيناه أكثر من خطبةٍ رنّانة ، وخطابٍ مرسل ، وتقعّرٍ في اللغة ، وتشدّقٍ بالكلام ، وإذا جدّ الجدّ فإذا هم كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة!
الشيخ المهيب : (يهزّ رأسه موافقاً) وذلك ما نعانيه يا مولاي .. تنظير دون عمل ، والأمرّ من ذلك تبرير للهزيمة والتقاعس ، لقد ذبحتنا الشعارات قبل الأسلحة ، شوهتنا .. فما نجد لذواتنا وجوداً إلا في ماضٍ جميل لن يعود ، أو حاضرٍ محاصَرٍ ، أو مستقبل حجب الله عنّا غيبَه ..
السلطان : (مشيرا بسبابته مذكرا)غير أنه تعالى وعد .. (ملتفتا إلى الحضور) وهو سبحانه لا يخلف ميعاده !
الشيخ المهيب : (مشيرا بكلتا يديه و كأنه يرفع شيئا للأعلى) ولذا هبّ الرجال والنساء .. و الأطفال والشيوخ .. فداءً وتضحية .. فجروا ثورة الحجارةِ .. ثورةً تحمل في طيّاتِها البشارةَ .. إيماناً بربهم وتصديقاً لوعده ..(مستدركًا) حركاتٌ مباركة تنبثقُ من قلب الشعوب الثائرة تأخذ مكانتَها ودورَها ، وهو مشوار طويل ، نعلم ذلك .. ولكن لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..
السلطان : (ينظر إلى الشيخ المهيب و نظرة إعجاب و إكبار) رغم ألم المشهد ، فإن كلماتك الواثقة أيها الشيخُ الجليلُ لتتقاطر على قلبي كالبَرَد .. (مستدركا بغضب) ولكن من سيطفئ جمرة الغضب التي تشعل كياني ؟ إن سيوفنا لا تقدر على خرق الزمن ، ولكن يمكن أن تأخذوا منها روحَها ، وتستلهموا مقاصدَها ، تستطيعون أن تتشبّعوا دروسَها وعبرَها .. وحينها يمكن أن ...

أصوات إنفجارات قوية .. طلقات الرصاص تملأ الأجواء .. أصوات هادرة تصدح ..
- إرحل .. إرحل ..
- الشعب يريدُ إسقاط النّظام ..

السلطان : (ناظرًا إلى عبد الرحيم مستبشرًا) حقًا يا عبدَ الرحيم .. إن شعوبَنا لا تعرف الموتَ .. كصحراءٍ تبدو قاحلة ، لكنها سرعانَ ما تتفجَّر عن إبداعٍ وألق ..
السلطان : (يركب حصانه .. يَكِزُه ... يخرجون من المسرح)..
يدخل فدائي ..
الفدائي : (مخاطبًا الشيخ المهيب) سيدي أحمد .. (بفرح) لقد فعلوها .. اجتازوا الأسوارَ .. وضربوا في العمق ...

ستار

قالَ صاحبُ اللّسان: للّه الشّيبُ: معروفٌ، قليلُهُ وكثيرُهُ بياضُ الشّعرِ. والمشيبُ: مثلُهُ للّه. وقالَ أيضًا: للّه لا ثُنعَتُ به المرأةُ، اكتفوا بالشّمطاءِ عنِ الشّيباءِ. وقد يُقالُ: شابَ رأسُها للّه.
وقالَ الطّبيبُ عنِ المشيبِ: إنّ مثلَ الشّعرةِ كمَثلِ ورقةِ الشّجرِ الخضراءِ؛ إنْ وصلَها الغذاءُ عاشتْ خضراءَ يانعةً، وإن انقطعَ عنها غذاؤها وقفَ نماؤها وتغيّرَ لونُها وماتتْ. فهناك قربَ الكليةِ غدّةٌ صغيرةٌ تُدعى (الكظر) تُفرزُ مادّةً تُسمّى (الأدرينالين) عملُها ذو شقّين: فهي تقبضُ الأوعيةَ الدمويّةَ السطحيّةَ، وتحملُ إلى الجلدِ والشّعرِ والعينِ - بالاشتراكِ معَ بعضِ الغددِ الأخرى - صباغَها الّذي يُعطيها لونَها، وذلك عبرَ الأوعيةِ الدمويّةِ أيضًا. و(الكظرُ) هذه إنّما ينشطُ عملُها إبّانَ الحروبِ والمفاجآتِ والانفعالاتِ؛ إذ يُنبّهها عصَبٌ يُسمّى بالعصبِ السّمبياتيّ لتزيدَ في إفرازِ الأدرينالين فيزيدُ ضيقُ الأوعيةِ الدمويّةِ لتقلّ - تبعًا لذلك - كميّةُ الدمِ الذي يُغذّي الشّعرَ، وكميّةُ الصّباغِ الّذي يُعطيهِ لونَهُ فيجفّ الشعرُ ويتغيّر لونُهُ إلى البياضِ.

الشيب في الشّعر العربي

مصطفى حمزة

أمّا الشعراءُ، فإنّهم لا يهمّهم تفصيلُ الطبيب أو تعليلُهُ - وإنْ كانوا أحسّوا ببعضِ الحقيقةِ العلميّةِ لأسبابِ المشيبِ - ويكفيهم من الأمرِ أن يُلمحوا تلميحَ الشاعر، ويقلقوا قلقَ الفنّان ..
فتلكَ الأسبابُ عندهم قد تكونُ ظلالَ السّيوفِ البتّارةِ، وطعنَ الرّماحِ النفّاذةِ في ساحِ الحربِ مع الأعداءِ. يقولُ ابنُ قيس الرّقيّات:

إنْ تَرَيْني تغيّرَ اللونُ منّي
وعلا الشيبُ مفرقي وقذالي
فظلالُ السيوفِ شيّبْنَ رأسي
وطِعاني في الحَرْبِ صُهبَ السِّبالِ

وقد تكونُ أيّامَ العمر ورحلةَ الحياةِ؛ حيثُ الهمومُ المتجدّدةُ بتجدّدِ الآمالِ، والصّعابُ المتولّدةُ من النّهاراتِ واللّيالي، وحيثُ تَبعاتُ العيشِ ومُفارقاتُ الأمور. فالشّريفُ الرضيّ شيّبَ فوْدَيْهِ همومُ نفسِه وأحزانُها، يقولُ:

راحَتْ تَعَجّبُ من شَيْبٍ ألمّ بهِ
وعاذرٌ شيبَهُ التهمامُ والأسفُ
ولا تزالُ هُمومُ النفسِ طارقةً
رُسْلَ البياضِ إلى الفوْدَيْنِ تختلفُ

والحُرَيْثُ بنُ سَلَمَةَ شيّبتْهُ اللّيالي والأيّامُ الطويلةُ، وما طولُها إلاّ من حُزنٍ وألم؛ إذْ ألِفنا أن يُكنيَ الشعراءُ عن همومهم إذا اثاقلتْ على صدورهم بتطاولِ الزّمن عليهم. يقولُ الحَرَيْثُ:

تقولُ ابنةُ العُمْريّ لمّا رأيتُها
تنكّرْتَ حتى كِدْتُ منكَ أهالُ
فإنْ تعجَبي منّي عُمَيْرَ فقد أتَتْ
ليالٍ وأيّامٌ عليّ طِوالُ

ومثلُ قول الحَرَيث قولُ أبي تمّام :

أرى ألِفاتٍ قدْ خُطِطْنَ على راسي
بأقلام شيبٍ في مهاريق أنقاسي
فإنْ تسأليني مَنْ يخطّ حروفها
فكفّ الليالي تستمدّ بأنفاسي !

ويُلمّحُ الأعشى بأبياتٍ إلى ما تفعلُهُ مصائبُ الأيامِ في الشَّعْرِ الأسود، يقول:

وقدْ قالتْ قتيلةُ إذْ رأتني
وقدْ لا تعدمُ الحسناءُ ذاما
أراكَ كبرتَ واستحْدثتَ خُلْقاً
وودّعتَ الكواعبَ والمُداما
فإنْ تكن لُمّتي يا قتْلُ أضحتْ
كأنّ على مفارقها ثغاما
فإنّ دوائرَ الأيّامِ يُفني
تتابعُ وقعِها الذكَرَ الحُساما

المشيبُ والشّبابُ :

لقد رأى بعضُ الشّعراء في الشّيبِ - والأمرُ في رأيي تعليلٌ للنّفس ليسَ إلاّ - خيرًا كثيرًا للرّجل ، ذلك أنّ الأشيبَ أكثرُ حِلْمًا من الشّابِّ الغرير، وأحسنُ خِبرةً بالحياة منه، فكأنّما (نوّرَ) لهُ شيبُهُ ظلامَ جهله في الحياة وبها، فهو نهارٌ في ليلِ الشّباب يُظهرُ انحرافهم عن الرّشاد وهذا المعنى تردّدَ كثيرًا عندَ الشّعراء. منه قولُ الفرزدق:

وتقولُ: كيفَ يَميلُ مثلُكَ للصّبا
وعليكَ من سِمةِ الكبيرِ عِذارُ؟!
والشيبُ ينهضُ في الشبابِ كأنّه
ليلٌ يَصيحُ بجانبيْهِ نهارُ

وقولُ ابن الروميّ :

وعَزّاكَ عن ليلِ الشّبابِ مَعاشِرٌ
فقالوا:نهارُ الشيبِ أهدى وأرشَدُ
فقتُ: نهارُ المرءِ أهْدى لِسَعْيه
ولكنّ ظلّ الليلِ أنْدى وأبْرَدُ

وقولُ ابن خفّاجة أيضاً :

ضَحكَ المشيبُ بعارضَيْهِ وأسْفرا
فغدا وراحَ من الغوايةِ مُقفِرا
والصبحُ أبهى في العُيونِ من الدّجى
وأعمُّ إشراقًا وأبهَجُ منظرا
والرّوضُ مونوقٌ وليسَ برائقٍ
حتّى تصادفه العيونُ منوّرا

ولكنّهم عندما تأمّلوا الأمرَ، وتفكّروا بالقضيّة، وجدوا أنّ للشّيبِ وجهًا آخرَ لا يدعو إلى الفخار به، بل ربّما كانَ أدعى إلى البُكاء منه! وجدوا أنّ الشيبَ لا يحلو له رأسُ الشابّ الفتيّ بل تطيبُ له الإقامةُ في لُمّة ورأس الرجل الذي ودّعَ أيّامَ الشباب واستقبله خريفُ العمر؛ فغدا لهم ظهورُ الشيبِ - لذلك - نذيرَ شؤم وطالعَ نحس، يشعرون به بمسير الأيّام، ودنوّ الأجل ويشعرون بأنّهُ ينعاهُمْ ولمّا يموتوا بعد!
يقولُ عَديّ بنُ زيد العبادي:

وابيضاضُ السّوادِ من ثُدّر الشرّ
وهلْ مثلُهُ لِحيٍّ نَذيرُ ؟!

ويقول عِمرانُ بنُ حطّان :

فاعملْ فإنّكَ مَنْعِيٌّ بواحدةٍ
حسْبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ مِنْ ناع

ولمحمود الورّاق هذه الأبياتُ، وهو يَعجبُ بها من مُفارقةٍ لطيفة هي أنّ الناسَ يُعزّي بعضُهم بعضًا على مالٍ أو بَنين، أو ملك من الأملاك فُقِدَ منه، لكنّهم لا يخطر لهم أن يُعَزّوا على فُقْدِ الشّباب! يقول :

أليسَ عَجيبًا بأنّ الفتى
يُصابُ ببعض الذي في يديهِ
فمنْ بينِ باكٍ لهُ مُوجَعٍ
وبينَ مُعَزٍّ مُغِزٍّ إليهِ
ويَسلبه الشيبُ شَرخَ الشبابِ
فليسَ يُعزّيه خَلْقٌ عليهِ؟!

ويرى الشّعراءُ أنّهُ يحقّ لهم وقد نعاهُم الشيبُ إلى أنفسهم أن يبكوا عليها وعلى شبابهم المفقود! وأمّا بُكاءُ الشّعراء على الشّباب المفقود فكثيرٌ جدًا، حتى إنّ أبا عمرو بن العلاء كانَ يقول: " ما بكتِ العربُ شيئًا بُكاءها على الشّباب، وما بلغتْ به ما يستحقّه ! "

فممّا بكى به دعبلٌ الخِزاعيّ هذان البيتان الشهيران:

أينَ الشبابُ وأيّةَ سَلَكا؟
أمْ أينَ يُطلَبُ، ضلّ أم هَلَكا؟
لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ
ضحك المشيبُ برأسِهِ فبكى!

ويقولُ منصور بن سلمة النميريّ :

ما تنقضي حسرةٌ منّي ولا جَزَعُ
إذا ذكرتُ شبابًا ليسَ يُرتَجَعُ
بانَ الشبابُ وفاتَتْني بغِرّته
خطوبُ دهرٍ وأيامٌ لها خُدَعُ
ما كنتُ أوفي شبابي كُنهَ غِرّتهِ
حتى انقضى فإذا الدّنيا لهُ تَبَعُ

وممّا قاله أبو العتاهية هذه الأبياتُ التي اشتُهرَ منها ثالثُها خاصّة :

عَريتُ من الشّبابِ وكنتُ غضًّا
كما يَعرى من الورق القضيبُ
ونُحتُ على الشبابِ بدمع عيني
فما نفعَ البكاءُ ولا النّحيبُ
فيا ليتَ الشّبابَ يعودُ يومًا
فأخبرَهُ بما فعلَ المشيبُ!

وكانَ أبو العَيْناءِ ضريرًا، ومع ذلك لم يذكر البصرَ فيما تبكي عليه العين، بل بكى الشّبابَ وفقد الأحباب! يقول:

شيئان لو بكتِ الدّماءَ عليهما
عيناي حتى يؤذنا بذهابِ
لم يبلغا المعشارَ من حقّهما
فقدُ الشّبابِ وفُرقةُ الأحبابِ

وأنا أرى أنّ ذلك البكاءَ وتلك الشكوى من ظهور المشيب في شُعور الشعراء، وذلكَ الفرَقَ منه، ليسَ لأنّهُ مُشيرٌ إلى أفول الشباب وضياع العمر وحسْب، بل لأنّهُ - إلى ذلك - داع إلى نفور فاكهة الشّباب، وريّا الحياة النّساءِ منهم!

المشيبُ والنّساءُ:

في المرأة - إذا كان في القضيّة رجلٌ واختيارٌ - طبعٌ لا تستطيعُ الحَيْدَ عنه، فهي مجبولةٌ عليه منذ بدء التّكوين، ذلك أنّها تختارُ بعينها وتحكم بقلبها، وقلّما كانَ للعقل - في هذه القضيّة - عملٌ لديها! ويبدو لي أنّ السبب في ذلك يرجع إلى غريزة حبّ الزينة والتزيّن عند النّساء، تلك الغريزة التي أقرّها ديننا الحنيف عندما أباحَ لهنّ التزيّن بالذّهب والحرير على حين نهى الرّجالَ عن ذلك منعًا لهم عن التشبّه بالنّساء وعن التّبذير والإسراف. وإذا كان ذلك كذلك كيفَ لا تميل المرأةُ إلى الشّابّ النّضير ذي الشّعر الأسود المسترسل، وتنفرُ من الشّيخ القديم صاحب الشّعر الأبيض الحزين الذي أكلَ الدّهرُ عليه وعلى رأسه وشرب ؟! وعندَ الأوّل الجمال والشباب والمُتعة، وهي زينة الحياة، وعندَ الثّاني القُبحُ والضّعفُ والشّكوى، وفي كلّ واحدة من هذه دنيا من التّنغيص والبلوى!!

وعرفَ الشّعراءُ هذا عند المرأة، أو أحسّوا به إحساسَ اليقين، فشُغِلوا بتصوير نفور الغواني من الشّيْبِ، واستهزائهنّ بهم، كما شُغلوا بالردّ عليهنّ بالتماس التعاليل لشيبهم فقالوا : إنه ليسَ عارًا للفتى أن يشيبَ، وإنّ سُنّة الحياة أن يشيب الرّجل إذا امتدّ به العمرُ، وتعلّلوا أيضًا بأنّ الشّيبَ حكمةٌ ووقارٌ، وهو كضوء النّهار، وكالنّجوم، وكالأقمار. وقد عرضْنا لشيءٍ من هذا فيما تقدّمَ من كلام .

يقول أبو الحسن التهاميّ مُصوّرًا تقطيبَ الحِسان ونفورَهنّ من الشَعر الأبيض :

عبّسْنَ من شَعَرٍ في الرأسِ مُبتسمِ
ما نفّرَ البيضَ مثلُ البيضِ في اللُمَمِ
ظنّتْ شبيبَتُهُ تبقى وما علمتْ
أنّ الشبيبة مَرْقاةٌ إلى الهَرَمِ

ومثلُ قول التهاميّ قولُ أبي الحسن عليّ بن الواحد من القصيدة التي عارضَ بها القصيدة الدُريديّة :

والغانياتُ لا يُردْنَ مَنْ بَدا
في عارضَيْهِ الشيبُ لو رامَ الصّبا

ومشهورة في هذا السياق أبياتُ عبدة بن الطبيب - والتي تُنسَبُ أيضًا إلى علقمة الفحل - حيثُ يقول:

طحا بكَ قلبٌ في الحِسانِ طروبُ
بُعَيْدَ الشبابِ عصرَ حانَ مَشيبُ
يُردنَ ثراءَ المالِ حيثُ عَلِمْنَهُ
وشَرخُ الشبابِ عندهنّ عجيبُ
فإنْ تسألوني بالنساءِ فإنني
بَصيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلّ مالُهُ
فليسَ لهُ في وُدّهنّ نصيبُ

ولأبي دُلَف العجليّ أبياتٌ - وتُنسَبُ أحيانًا لأبي تمّام، وأحيانًا لابن المعتزّ - يَحكي بها تعريضَ إحداهنّ بشيبه وردّه عليها ، يقول:

قالت وقد راعَها مَشيبي
كنتَ ابنَ عمٍّ فصِرتَ عَمّا
واستهزأتْ بي فقلتُ أيضًا
قدْ كنتِ بِنْتًا فصِرْتِ أمّا
كُفّي ولا تُكثري ملامي
ولا تزيدي العليلَ سُقْما
مَنْ شابَ أبْصَرْنَهُ الغواني
بعَيْنِ مَنْ قدْ عَمي وصمّا

وفي بيتين يُنسَبان للعُتبي، ولعمر بن أبي ربيعة، ولمحمد بن أميّة، صورةٌ رائعة نرى فيها الحِسانَ وقد تهافتنَ على الكُوى لكي يتفرّجْنَ من خلالها على الشّاعر أيّامَ شبابه، أمّا اليومَ وقد غزا الشيبُ مفرقهُ؛ فالإعراضُ كلُّ حظّه منهنّ!

رأينَ الغواني الشيبَ لاحَ بمفرقي
فأعْرضْنَ عنّي بالخُدودِ النواضر
وكُنّ إذا أبْصَرْنني أو رأيْتني
سَعَيْنَ فرقعْنَ الكُوى بالمحاجِرِ !

ولمحمود الورّاق في (العقد الفريد) الجزء الثّالث، قصيدةٌ يُصوّرُ فيها كيفَ يمحو المشيبُ محاسنَ كلّ زَيْن، ويُبدي مقابحَ كلّ شَيْن، ويُبيّن فيها موقفَ الغواني من هذه المقابح على رأس الرجل، وكيفَ يتدرّجْنَ في النّفور منه والتّباعدِ عنه بتدرّج تفشّي الشّيب في رأسه شيئًا فشيئًا!

وبعدُ :

إنّ فكرة الشّيب بمعانيها الّتي عرضنا لها عرضًا سريعًا، وبما تُوحي إليه تلك المعاني من إحساس الإنسان بأثر الحياة عليه، وتعلّقه - في شعوره اللّاواعي - بحياته، وخوفه ممّا يُشير إلى دنوّ أجله، وتمسّكه بأهداب الشّباب والجمال؛ إنّ هذه الفكرة فكرةٌ إنسانيّة تستحقّ الدّراسة العميقة المُستفيضة، كما تستحقّ الدّراسة المُقارنة بين الآداب العالميّة. وهي - فيما أرى - نُقطة قويّة لشعرنا عندَ تقييمه.

وفاء شوكت خضر

و

حياةٌ في مشاهد..

حبّ..

لمْ يتركْ نافذةً إلّا وولجَ منها يبثّها لوعةَ الغرامِ ..
حاصرَها بمشاعرهِ وأجيجِ عواطفِهِ، شكى لوعةَ الشّوق ..
أشارتْ لهُ إلى البابِ..
أشارَ لمحبسٍ في بنصرِ يدِهِ اليُسرى..
ألمحتْ بأن لا مانعَ عندَها منْ قبولِ الأمرِ..
نطقَ قائلًا..
ولكن.....

صفقةٌ

مقابل المالِ، منحت شبابَها لشيخوختِهِ..
كانتْ تحملُ بينَ يديْها أسنانَه المستعارةَ، وهي تُخفي اشمئزازَها، مرتديةً ابتسامةَ الرّضا..
تسهرُ اللّيالي تمرّضُه، وهي تنتظرُ لحظةَ أنْ تحصلَ على أتعابِ نهايةِ خدمتِها ..
كم كانَ بكاؤه حارقًا عليها وهو يسجّيها اللّحدِ..

عمليّةٌ حسابيّةٌ

كانتْ جثّتُهُ ملقاةً على الأرضِ بعدَ أنْ ألقى بنفسِه منَ الطّابقِ الخامسِ ..
لمْ يتركْ خلفَهُ إلّا ورقةً دوّنَ فيها ..
إيجارُ البيتِ ...
+الكهرباءُ ..
+الماءُ ..
+ضريبةُ الدّخلِ ..
+قرضُ البنكِ ..

---

300 - =دينار شهريّا

اقتصادٌ

لمْ يكنْ منْ وسيلةٍ لرفعِ ميزانيّةِ الدّولةِ حينَ استلمَ وزارةَ الماليّةِ، فقدِ استنفذَ من سبقوهُ كلَّ الوسائلِ في مصِّ دماءِ المواطنِ وجلدِه ولحمِهِ وعظمِهِ حتّى النخاعِ..
أصدرَ قانونًا يفيدُ بأنّه في أيّ حالةِ وفاةٍ تؤولُ ملكيّةُ أعضاءِ المتوفّى للدّولةِ لإنعاشِ الصّادراتِ الوطنيّةِ ..
ورفعَ تسعيرةَ القبورِ بنسبةِ ١٠% يلتزمُ بها ذووي المتوفّي تضافُ إليها نسبةُ ١٦% ضريبةَ دخلٍ ومثلها ضريبةَ مبيعاتٍ..

عيدُ ميلادٍ

في ثوبٍ مزركشٍ بألوانٍ زاهيةٍ، كانت تقفُ بينَ والدَيْها، متأمّلةً أجملَ كعكةِ عيدِ ميلادٍ، زيّنتها خمسُ ورودٍ توسّطت كلّ واحدةٍ منها شمعةٌ ..
ردّت خصلاتِ شعرِها البيضاء للخلفِ، لتشربَ دمعةً ألقتْ بها الذّكرياتُ منْ محجرِ العينِ، وهي ترقبُ خمسينَ شمعةً تحترقُ

فكر رائد وأدب هادف ورؤية موضوعية صادقة تسهم في نهضة الأمة

في بيان صريح ، د. سمير العمري رئيس رابطة الواحة الثقافية :

الواحة منبر حر ، و أخوتها سفه
و لا يمكن القفز على إرادة الشعوب بالسلاح

أَعلنتْ رابطةُ الواحةِ الثقافيةُ عَنْ مَوقِفِها الواضحِ بالتأييدِ الكاملِ للحركةِ الثَّوريةِ الشَّعبيةِ المُطالبةِ بِعَودةِ الشَّرعيةِ وإِسقــاطِ الحُكْمِ العَســكَرِيِّ الانْقِلابِيِّ في مِصرِنا الحبيبةِ،مُعربــةً عَنْ تَضامُنِها قَلبًا وقَالَبًا مع تَوَجُّهاتِ الثورةِ التَحَرُّريةِ والحضِّ عَلى الصُّمودِ ومُواصَلةِ الطريق نَحوَ فَجرٍ جديدٍ للأمَّة .

وقال د. سَميرُ العُمَريُّ رئيسُ رابطةِ الواحةِ الثّقافيةِ :إنَّنا نُثمنُ عاليًا مَوقفَ كُلِّ الشُّرفاءِ مما يَحــدُثُ في مِصرَ ونَرفُضُ كُلَّ وســائلِ القــــمعِ والتَسلُّطِ واغتصابِ الحُكْمِ ، مُستَنكِراً الهَجْمةَ البَرْبَريَّةَ مِنَ الشُّرطةِ والجَيشِ عَلى الشَّعبِ الأعزلِ ، و دَعا للاقتصاصِ منَ القَتلةِ والمُجرمينَ ، و أشادَ بِدَورِ كُلِّ القَنواتِ الحُرَّةِ التي نَهَضتْ لِمُستوى الحدثِ.

كما أكَّدَ الدكتور سميرُ العُمريُّ أنَّ رابطةَ الواحةِ الثقافيةَ مِنْبرَ كُلِّ حُرٍّ كَريمٍ لا تَعتَمِدُ مَنهَجيَّةَ العُنْصُريَّةِ ولا القَبَلِيَّةِ ولا الحِزْبِيَّةِ ، وهي صاحِبَةُ مَنْهَجٍ رِسالِيٍّ واضحٍ مُستَقِلٍّ يتقاطَعُ حينًا ويَتوازَى حينًا مع عِدَّةِ مَناهِجَ فِكريَّةٍ أو دينيةٍ أو سياسيةٍ مَطروحةٍ ، وأنَّها لا تَتبعُ أحدًا ولا تَرضى التَبَعِيَّةَ لِأحدٍ ، وإنَّما تَتبعُ الحقَّ والخيرَ والجمالَ ، و لا تَحْجُرُ على أَحَدٍ أنْ يَقُولَ رأيَهُ مَهْما وافَقَ أو خالفَ . وقــالَ : "إنَّ مســألَةَ أَخْونَةِ العُمَرِيِّ وتَخوينِهِ والزَّعْمِ بأنَّ الواحــةَ مَوقِعٌ إِخوانِيٌّ وواجِهَةٌ لأفكارِهِمْ وتَوَجُّهاتِهِمْ فَهذا واللهِ مِنْ السَّفَهِ والزَّيفِ وحالةٌ مِنَ الهَوَسِ".وأضافَ :"لَسْتُ إِخْوانِيًّا بَلْ صاحبَ رِسالةٍ سامِيةٍ تَتوازَى مَعَهُمْ حِينًا وتتقاطعُ أَحيانًا ، ولستُ أُدافِعُ عَنِ الإخوانِ بَلْ عَنْ الحَقِّ والعَدْلِ وعَنِ الشَّرعِيَّةِ أيًا كان صاحِبُها فالشَّعبُ صاحِبُ الحَقِّ في اختيارِ مَنْ يَحْكُمُهُ بالطُرُقِ السِّلمِيَّةِ ولا يُمْكِنُ القفزُ عَلى إرادةِ الشَّعبِ بالسِّلاحِ".

و اختُتِمَ البيانُ بالقولِ إنَّ مُحاولةَ لَعِبِ دَورِ البُطولةِ حِينًا والضَّحِيةِ حينًا والمُزايداتِ التي باتَتْ تَصحَبُ هذا الأمرَ في كُلِّ مَرَّةٍ يَحْدُثُ فِيها فِتْنَةٌ في الأُمَّةِ هي مُحاولاتٌ مكشــوفَةٌ لا تَنْطَلي على العُقــلاءِ ولا تَخْدَعُ إلا السُّفهاءَ .

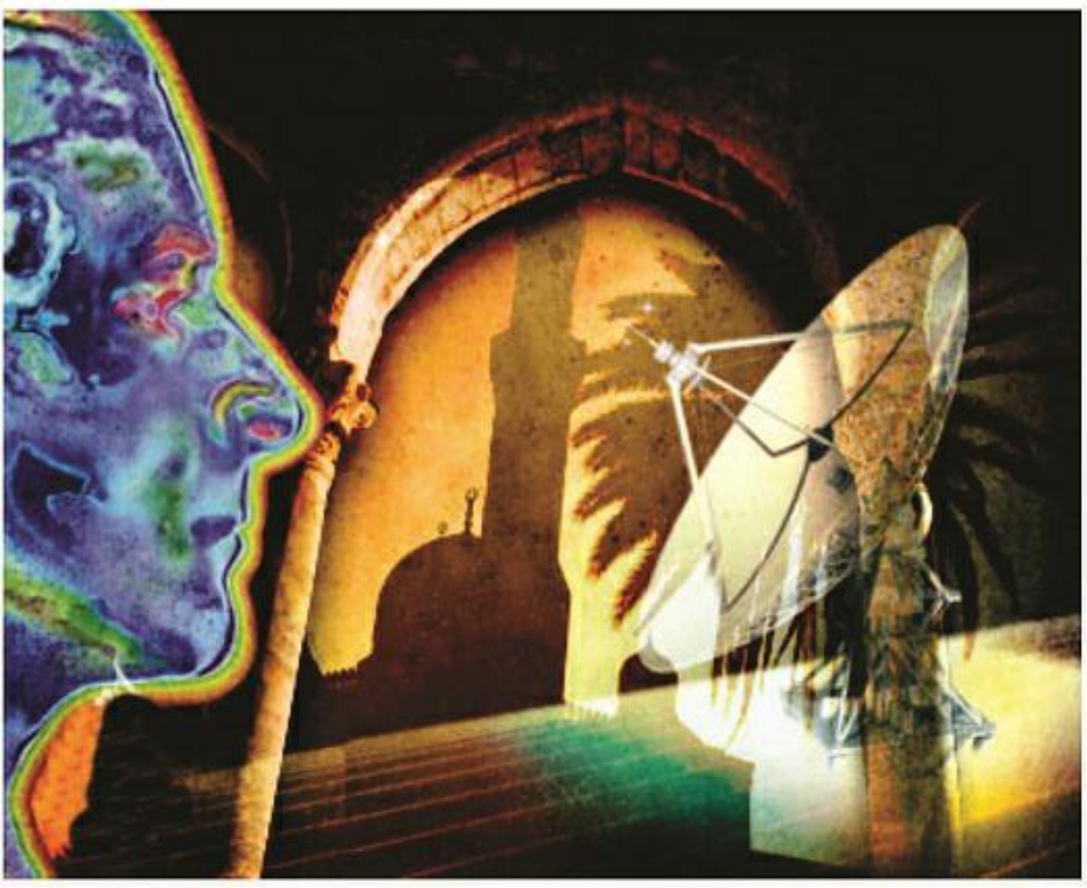

الحداثيّونَ وقراءةُ النصّ الشرعيّ

ملخّصُ لمحاضرةِ الدّكتورِ عبدِ اللّهِ الخطيب

من إعداد: هيام ضمرة

الحداثيّونَ وقراءةُ النصِّ الشرعيِّ.. عنوانُ المحاضرةِ الّتي تصدرُ بكفؤه لإلقائِها أمس السبت ٨/٩/٢٠١٢ عن منصّةِ رابطةِ الأدبِ الاسلاميِّ العالميّة في عرجان الدّكتور عبد الله الخطيب المتخصّص بالنّقدِ في الجامعةِ الاسلاميّةِ. أطلقَ المحاضرُ منذُ بدايةِ المحاضرةِ جملةً منَ الأسئلةِ لتكونَ مفتاحًا للعبور إلى متن الموضوع ولتمنحَه تشويقًا وتسهيلًا في آنٍ معًا لكشفِ الغطاء عن مضمون المحاضرةِ، وليفكّكَ قدرًا من تداخلاتِ العلاقةِ بينَ النصِّ الشرعيِّ وآلياتِ الحداثةِ ومناهجِها.. ما هي الحداثةُ..؟

هل الحداثةُ تناقضُ الاسلامَ كدينٍ وتفكّكُ معتقداتِهِ المقدّسة..؟

كيفَ اشتغلَ الحداثيّونَ العربُ وفقَ مناهجِ النّقدِ الحديثِ معَ النصّ الشرعيّ..؟

بدأ ظهورُ مناهجِ النّقدِ في الغربِ منذُ النّصفِ الثّانِي للقرنِ العشرينَ.. كالبنيويّةِ، والتفكيكيّةِ، والأسلوبيّةِ، والسيميائيّةِ، والنّقدِ الثّقافيّ وغيرها من مناهجَ ابتكرَ أيقونتَها مفكّرونَ غربيّونَ,, وتماهى معَ خطابها النّقدُ العربيّ، واستجابتْ دراساتُ العربِ النّقديّةِ لهذهِ الثّورةِ الحديثةِ، وكانتْ قصّةُ البدايةِ عندَ طه عبد الرّحمن وعبد الله العرويّ (المغرب)، وعندَ أدونيس (سوريا) ومحمّد أركون، ونصر حامد أبو زيد (مصر) وعبد الله الغذاميّ (ليبراليًّا منَ الجزيرةِ)

واصطدمتْ هذه الأيقوناتُ بالثّالوثِ المحرّمِ (الدّينُ- الجنسُ- السّياسةُ) حيثُ خصوصيّة النصِّ الشرعيّ، وسلطة النصّ الفقهيّ المستمدّ عمقه من سلطةٍ سياسيّةٍ، كلّها وضعت محاذيرًا في النّقدِ العربيّ.

ما هي الحداثةُ..؟ وما الغايةُ الّتي جاءت بها الحداثةُ..؟ وماذا تريدُ..؟

الحداثةُ عمليّةُ تخلّصِ الإنسانِ منْ أوهامِه، وتحرّره من قيودِه، وتفسّر الكونَ تفسيرًا عقلانيًّا ذاتيًّا من خلالِ قطعِ الصّلةِ بالماضي والاهتمامِ بالتّجربةِ الإنسانيّةِ الآنيّةِ.. كما تسعى في المقابلِ إلى إرساءِ الثّوابتِ الّتي تحكمُ الإنسانَ وتجربتِه من ناحيةٍ وتحكمُ الصّيرورةَ الثّقافيّةَ في تفسيرِ المتغيّراتِ العابرةِ، وفي ذاتِ الوقتِ تمنحُ مشروعيّةً تبريريّةً عقلانيّةً للتّجربةِ الآنيّةِ.. من هنا جاءَ التّقابلُ الضديّ بينَ الثّابتِ والمتحوّلِ لمنحِها نظامًا مستقرًّا في التّفسيرِ..

إنّما تولّدتْ عندَ العربِ قراءاتٌ ألقتِ الضّوءَ على الموروثِ، محاولين تقويضَ نظامِ اللّا عقلِ ونقدِ مفعولاتِ اللّا معقولِ، وامتداداتِه المتجذّرةِ في النّاحيةِ الاجتماعيّةِ والسّياسيّةِ والمعرفيّةِ، من خلالِ انجازِ قراءةٍ جديدةٍ للنصّ لهدفِ التّجديدِ في الفكرِ الإسلاميّ، الّذي تجمّدَ قرونًا طويلةً وأصبحَ لزامًا التّجديدُ لمواكبةِ حركةِ العلمِ والعقلِ معًا

حيثُ الحداثةُ طالتْ كلَّ مناحي الحياةِ ولم تقتصرْ على النّقدِ الأدبيّ فقد شملتِ المناحي الاجتماعيّةَ والسّياسيّةَ والاقتصاديّةَ والفكريّةَ وفنونَ العمارةِ وغيرها.. إنّما الحداثةُ لغتِ المحمولاتِ الفكريّةَ والثّقافيّةَ للعقلِ الجمعيّ العربيّ متجاهلةً خصوصيّةَ النصِّ المقدّسِ عندَ المسلمينَ.. وهنا يكمنُ الانعتاقُ عن هذا المشروعِ الأيدولوجيّ على صورتِه الغربيّةِ.

لماذا الحداثةُ..؟

وُجِدَ أنّ القديمَ لمْ يعدْ متكيّفًا معَ متطلّباتِ العصرِ وحاجاتِ النّاسِ الحقيقيّةِ، وصارَ لزامًا تحريرُ القوانينِ المضبوطةِ بقوانينَ شرعيّةٍ إلى قوانينَ وضعيّةٍ تلائمُ الحاجةَ، والتحوّلُ منَ الالتفاتِ الطبيعيِّ بينَ الرّجلِ والمرأةِ إلى المساواةِ في حقوقِ المواطنةِ وواجباتِها، وتقبّلُ الآخَرِ، وعدمُ اضطهادِ الأقليّاتِ، وتثبيتُ حقوقِ الانسانِ، وعدمُ كراهةِ ثقافةِ الآخرِ، والتّسامحُ الدينيّ، وتقبّلُ الاختلافِ، والتحوّلُ من ثقافةِ الحقيقةِ المُطلقةِ إلى ثقافةِ الحقيقةِ النسبيّةِ.. وهنا فإنّ تعطيلَ الموروثِ على هذا النّحو يُلغي مصلحةَ الجماعةِ على حسابِ المصلحةِ الفرديّةِ.

وهناكَ بالطّبع أسبابٌ جعلتِ الحداثيّينَ العربَ يتّجهونَ لنهجِ الحداثةِ الغربيّةِ

١- الانبهارُ بالحضارةِ الغربيّةِ لتقدّمِها الحضاريّ وإفرادِها الحقوقَ الفرديّة، والحرّياتِ كحريّةِ الاعتقادِ والانتقادِ وحريّةِ التّعبير والتّفكير وغيرها.
٢- الابتعاثُ للدّراسةِ والنّهل العلميّ في الدّول الأجنبيّةِ، والغرْفُ منَ العلوم والفكر الغربيِّ، فكانَ المبتعثونَ أدواتِ اختراق للفكر العربيِّ والاسلاميِّ، تتغلغلُ في الموروثِ الحضاريِّ الاسلاميِّ دونَ إحداثِ مؤشّراتٍ توجّهُ إصبعَ الاتّهام نحوَ الغربِ، ممّا يحقّقُ أهدافَ المستشرقينَ.
٣- عمليّةُ التصدّي للفكر اللّاهوتيّ الغربيّ القامع، وإخضاع التّفاسير اللّاهوتيّةِ جميعِها للنّقض والبحثِ والتّمحيص، وجدَ صداهُ عندَ الحداثيّينَ العرب فراحوا يقلّدونه دونَ الالتزامِ بالاعتباراتِ الضروريّةِ.

منْ هُم المُتعاملينَ معَ النصِّ الشرعيِّ..؟

١- دعاةُ التّجديدِ المطلق.. ويدعونَ إلى القطيعةِ المعرفيّةِ معَ التّراثِ العربيِّ والإسلاميِّ والتّعامل معهُ دونَ تحفّظاتٍ، وفي هذا إبادةٌ للموروثِ الحضاريِّ الفكريِّ لأمّةِ الإسلام تحتَ شعار العصرنةِ.
٢- دعاةُ الانعكافِ على القديم.. وهمُ الّذينَ يقدّسونَ الماضي لمجرّدِ حملِه السّمات القديمة الّتي لازمت فترةَ الأمجادِ وأنجبتِ عظماءَ الفكر والعلم الإسلاميّ ومن خلالِه عرفتِ المذاهبُ الفقهيّةُ الإسلاميّةُ، وبهذا حكموا على العقلِ الإسلاميّ بالتجمّدِ عندَ تلكَ الحدودِ.
٣- التوسّطُ بينَ الأصالةِ والمعرفةِ والرّبطِ بينهُما.. وهيَ حالةُ الإفادةِ منَ التّراثِ المتسلّح بالمتانةِ والأصالةِ والتّفسيرِ المنضبطِ للنصِّ الشرعيِّ ورفدِه بعلومِ البحثِ العلميِّ والتّكنولوجيا المعاصرةِ، من خلالِ توظيفِ آلاتِ البحثِ بحيثُ تُضفي عليهِ القيمةَ العاليةَ.. وهو النّهجُ السّليمُ.

انطلقَ الحداثيّونَ العربُ في نظرتِهم للقرآنِ الكريمِ على أنّه منتجٌ ثقافيٌّ قابلٌ لإخضاعِه لمختبرٍ سرديٍّ يعيدُ إنتاجَ تفسيره، كونه نزلَ بواسطةِ الوحي على مدى عشرينَ عامًا.. فأعلنوا صراحةً عن مشروعِهم في قراءةِ النصِّ القرآنيِّ، وحدّدوا مساقاتٍ لذلكَ بما يعطي مندوحةً منَ الحريّةِ الفكريّةِ غيرَ مرهونةٍ بقداستِه مسبقًا.. بحيثُ يتمّ الآتي

١- مراجعةُ أصولِ الفكرِ الإسلاميّ ٢- تفكيكُ تلكَ النّصوص (القرآنُ والسّنّةُ وتراثُ الصّحابةِ وأهلِ الإجماع) وإخضاعِها لكافّةِ المناهجِ التّحليليّةِ للخطابِ منَ النّسق الّذي علقَ بها من الضّمير الإسلاميّ أو الاستشراقيّ، من خلالِ وصلِها بالحدثِ التاريخيّ، والمحيطِ الجغرافيِّ، والنّظامِ الاجتماعيّ، والثّقافةِ الذهنيّةِ السائدةِ في ذلكَ الزّمنِ والظّروفِ البيئيّةِ.. وبدت عندهم تلكَ الرّغبةُ الجامحةُ لإسقاطِ أيّ نظريّةٍ علميّةٍ على النصِّ القرآنيِّ دونَ مراعاةٍ توافقها أو تعارضها.... فتناولُ النصِّ القرآنيّ بالدّراسةِ وفقَ مناهجِ قراءةِ النّصوص الأدبيّةِ يُلغي الفوارقَ بينَ النصِّ الدينيِّ والأدبيِّ، وهذا خطأٌ فادحٌ يبدو كمثلِ الخلطِ بالفوارق بينَ النصِّ الشعريِّ والنصِّ الاعلاميِّ. وعرضَ المحاضرُ لنماذج تطبيقيّةٍ للحداثيّينَ معَ النصِّ الشرعيِّ، كمحمّد أركون في كتابهِ(القرآنُ منَ التّفسير الموروثِ إلى تحليلِ الخطابِ الدينيّ) وظّف فيه المنهجَ الألسنيّ، وقدّمَ فيه قراءةً لسانيّةً لسورتيّ الفاتحةِ والكهفِ.. ونشرَ عدّةَ دراساتٍ وفقَ المنهجِ اللسانيّ والسيميائيّ والتحليليّ للقرآنِ الكريمِ ونشرها فيما بعد بكتابِ (قراءاتٌ في القرآن) ١٩٨٢ في باريسَ.. وقد بيّنَ الهدفَ من دراساتِه لا لإبطالِ التّفاسيرِ الموروثةِ بقدرِ إبرازِ الصّفاتِ اللّسانيّةِ اللغويّةِ، وآلاتِ العرضِ والاستقلالِ والإقناعِ والتّبليغِ والمقاصدِ المعنويّةِ الخاصّةِ بالخطابِ النبويّ، لكنْ سرعانَ ما توضّحتْ مقاصدُهُ الحقيقيّةُ في تعمّدِه إظهارِ ضعفِ التّفسيراتِ السابقةِ، كما جمعَ بالحكم نصوصَ القرآنِ والإنجيلِ والتّوراةِ رغمَ فارقِ ثبوتِ كلٍّ منها.

ويستمرّ أركون في إقناعِ القارئِ بأحقيّةِ النّظرِ إلى دراستِه بعينِ المحايدِ لتفهّمِ نظريّته في أسسِ المنهجِ اللسانيّ والتفكيكيّ والسيولوجيّ ومعرفةِ قواعدِه.. وهنا نتلمّس وجودَ طفرةٍ معرفيّةٍ في تحليلِ الخطابِ الدينيّ عامّةً، وهذه الطّفرةُ لا تمسّ العقيدةَ في محتواها وممارساتِها، وإنّما تحيلُها إلى مستوًى أوسعَ ومنظومةً أكثر تفتّحًا وأشملَ إحاطةً بما أضافتهُ الحداثةُ العلميّةُ من نظريّاتٍ وشروحٍ وتأويلاتٍ واكتشافاتٍ ووسائلِ إحقاقِ الحقِّ والحقيقةِ (حتّى لا يتعجّل المؤمنونَ ويرفضونَ القراءاتِ الّتي اقترحَها للقرآن) كونه مبتدئًا وسقطتْ منهُ المحدّداتُ الاجتماعيّةُ والثقافيّةُ بسببِ عدمِ اكتشافِه بعد تعاليمَ اللسانيّاتِ والسيميائيّاتِ والانثروبولوجيا والسوسيولوجيا الدينيّة والثقافيّة وعلمِ النّفس التاريخيّ.

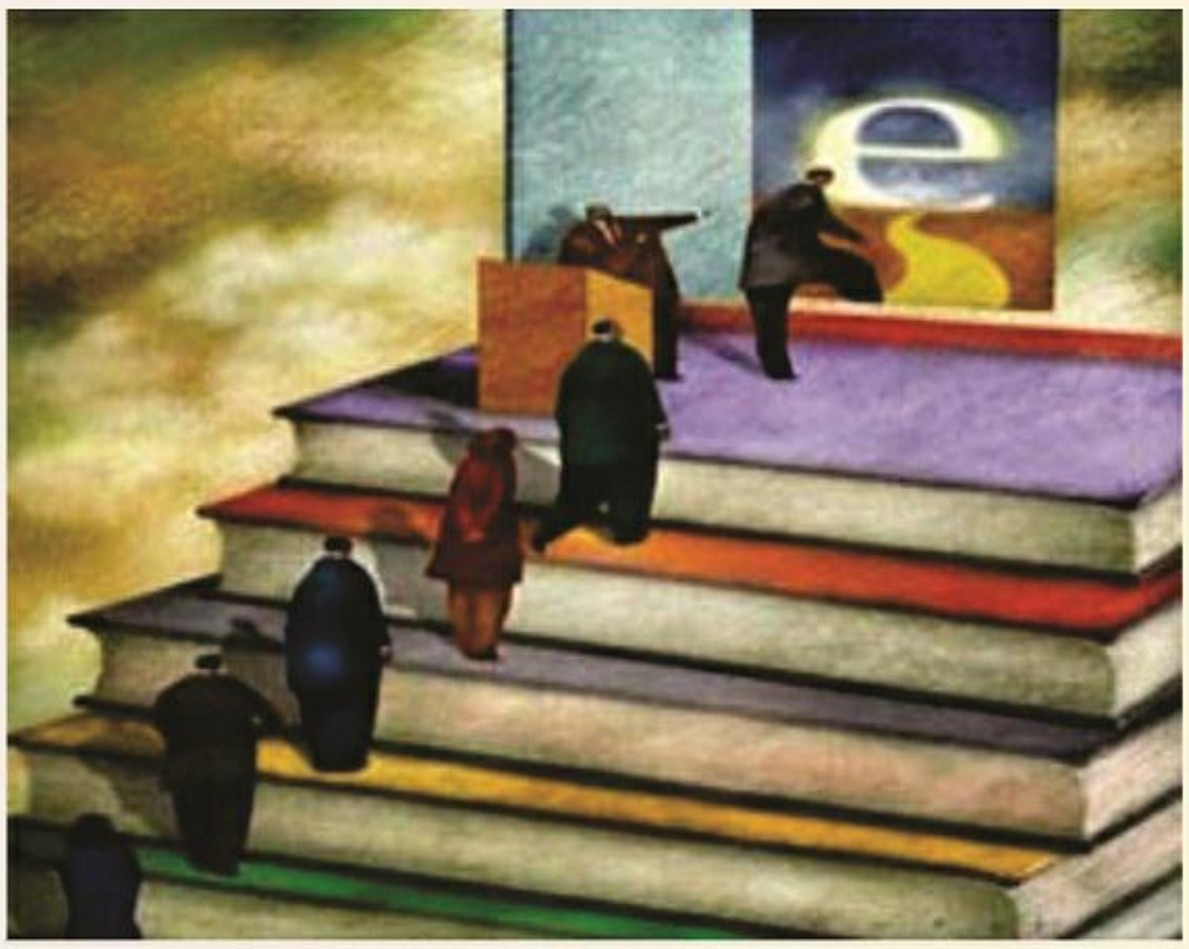

وَدِّعْ وَدَعْ وَدَعْ

ربيحة الرّفاعي

وَدِّعْ وَدَعْ فَدُمُوعُ النَّدْبِ وَالجَزَعِ ... تَأْتِي المُلَوّعَ بالإعْرَاقِ فِي الوَجَعِ
وَالفَقْدُ فَاجِعَةٌ مَا ذَاقَهَا كَبِدٌ ... إلَّا وَشَقّ جُيُوبَ الصّبْرِ مِن فَزَعِ
وَإنّهُ الكَرْبُ أدْرِي والأسَى قَدَرٌ ... وَالحَقُّ شَاءَ وَمَا مَاضٍ بِمُرْتَجَعِ
لَوْ كَانَ نَزْفُ عُيُونِ القَلْبِ يُرْجِعُهُ ... كُنّا لِمَلءِ بُحُورٍ مِنْهُ فِي هَزَعِ
لَكِنّهَا وَقْعَةُ الأقْدَارِ مَا وَقَعَتْ ... إلّا بِحُكْمِ إلَهٍ إنْ قَضَى تُطِعِ
وَالخِلُّ سِيقَ إلَى الرّحْمَنِ فِي زُمَرٍ ... مُدّ السّبِيلُ لَهَا مَهْدًا مِنَ الدِّمَعِ
فِي عَشْرَةٍ كُلُّهَا لِلرّاحِلِينَ رِضًى ... بِغَيْمَةِ العِتْقِ فِي شَهْرِ الصّيَامِ دُعِي
فَاخْتَارَ مِنْ وَعْثَاءِ العَيْشِ رَاحَتَهُ ... وَسَارَ للهِ خَطْوَ الخَاشِعِ الوَرِعِ
مُخَلِّفًا فِي لَظَى الدُّنْيَا نَوَائِبَهَا ... وَعَالَمًا مِنْ يَبَاسِ الغَدْرِ وَالخِدَعِ
مَا عَاشَ فِيهِ بِطُولِ العُمْرِ مِن سَعَةٍ ... وَلَا اطْمَأَنّ بِغَيْرِ اللهِ يَذْكُرُهُ
فَشِرْبُهُ آيُ رَبّي وَالطّعَامُ رِضًى ... يُفِيضُ نُورًا بِوَجْهِ الطّاهِرِ القَنِعِ
شَيْخٌ مَنَاقِبُهُ الأخْيَارُ تَذْكُرُهَا ... وَنَفْحَةُ الخَيْرِ بَيْنَ النّاسِ لَمْ تَضِعِ
مَضَى وَوَدّعَ أيّامًا عَزَائِمُهَا ... لَمْ تُبْقِ فِي القَوْمِ قَلْبًا غَيْرَ مُنْصَدِعِ
للهِ مَا فِي صُدُورِ الخَلْقِ مِن حُرَقٍ ... وَمَا بِهَا يَا سَلِيلَ الطُّهْرِ مِن نَزَعِ
بِأُمّةٍ لَمْ يَعُدْ فِي أرْضِهَا أمَلٌ ... بِأنْ تَفِيقَ وَأنْ تَسْمُو عَنِ الخُدَعِ
مَعَاوِلُ القَتْلِ فِي عَزْمٍ تُطِيحُ بِهَا ... وَالقَوْمُ مِنْ هَلَعٍ يَمْضُونَ فِي هَلَعِ
كَفٌّ تُقِيمُ صُرُوحَ العِزّ فِي جَلَدٍ ... وَأَلْفُ أَلْفِ يَدٍ فِي الدّكّ، لَمْ تُزَعِ
وَأَلْفُ أَلْفِ قَتِيلٍ، أَلْفُ مَجْزَرَةٍ ... وَأَلْفُ طَائِفَةٍ مِنْ مُدّعٍ وَدَعِي
مَنِ الجَهُولُ؟ وَمَنْ بِالمِسْكِ تَغْسِلُهُ ... مَلَائِكُ الرّبِّ؟ مِنْ فِي الوَزْرِ لَمْ يَقَعِ؟
وَمَنْ بِرَحْمَتِهِ رَبِّي تَغَمّدَهُ ؟ ... وَمَنْ لِنِقْمَتِهِ سَاقُوهُ مِنْ قَزَعِ؟
وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَزَلْ فِي الغَيِّ مُنْتَفِشًا ... وَالنّارُ تَأْكُلُ أهْلَ الغَيِّ وَالبِدَعِ
وَاللهُ قَدّرَهَا دُنْيَا عَلَى كَدَرٍ ... نَعِيشُهَا بَيْنَ مَوْصُولٍ وَمُنْقَطِعِ
فَوَدِّعِ الرّاحِلَ الغَالِي بِمَا دَرَجَتْ ... عَلَيْهِ سِنّةُ خَيْرِ الخَلْقِ وَانْتَفِعِ
بِحَمْدِ رَبّكَ وَاقْنُتْ وَاصْطَبِرْ وَأَقِمْ ... شَعَائِرَ الشّكْرِ قُمْ وَالنّادِبِينَ زَعِ
وَقَرّ عَيْنًا بِمَا شَاءَ المَلِيكُ لَهُ ... مَا فِي الحَيَاةِ وَرَبّ النّاسِ مِنْ نَفَعِ
لَمْ يَطْوِ فَخْرُ كِتَابِ الدّهْرِ صَفْحَتَهُ ... وَلَا أرَى جَدْرَهُ السّامِي بِمُنْخَلِعِ
وَمَنْ لَهُ خَلَفٌ مِنْ مِثْلِكُمْ عَلَمٌ ... فَذِكْرُهُ فِي البَرَايَا غَيْرُ مُنْقَطِعِ

حكمٌ وأقوالٌ

ــ النّاسُ إلى العلمِ أحوجُ منهم إلى الطّعامِ والشّرابِ، لأنّ الرّجلَ يحتاجُ إلى الطّعامِ والشّرابِ في اليومِ مرّةً أو مرّتيْنِ وحاجته إلى العلمِ بعددِ أنفاسِه.

أحمدُ بنُ حنبل: فقيهٌ إسلاميّ وأحدُ أئمّةِ أهلِ السنّةِ

ــ الصبيّ أمانةٌ عندَ واليهِ، وقلبُه الطّاهرُ جوهرةٌ ساذجةٌ خاليةٌ من كلّ نقشٍ وصورةٍ، وهوَ قابلٌ لكلّ ما ينقشُ عليهِ ومائلٌ إلى كلِّ ما يُمَالُ إليهِ.

أبو حامدِ الغزاليّ: فقيهٌ وفيلسوفٌ مسلمٌ

ــ عقولُ الرّجالِ على أسنّةِ أقلامِهم وليستْ على أسنّةِ رماحِهم.

خالدُ بنُ الوليدِ

ــ الخطأُ الوحيدُ في حياتي هو الخطأُ الّذي لمْ أتعلّمْ منهُ شيئًا.

سلمان العودة

ــ قدْ أختلفُ معكَ في الرّأيِ، ولكنّي على استعدادٍ أن أموتَ دفاعًا عنْ رأيكَ.

فولتير

ــ ليستِ الثّورةُ طريقًا مفروشًا بالوردِ، بل هي صراعٌ بينَ المستقبلِ والماضي.

فيدل كاسترو

ــ الرّغبةُ في الفوزِ تولدُ في معظمِنا، وإرادةُ الفوزِ مسألةُ تدريبٍ، أمّا أسلوبُ الفوزِ فمسألةُ شرفٍ.

مارجريت ثاتشر: رئيسةُ وزراءٍ بريطانيّةٍ سابقة

ــ ليستِ الأنانيّةُ أنْ يعيشَ الشّخصُ كما يريد، بلْ أنْ يحاولَ جعلَ الآخرينَ يعيشونَ كما يريدُ.

أوسكار وايلد

آياتُ السّجودِ دراسةٌ أسلوبيّةٌ

الجزء الثّاني

محمد عبدالمجيد الصّاوي

الآيةُ السّادسةُ:

" ألمْ ترَ أنّ اللهَ يسجدُ لهُ من في السّماواتِ ومنْ في الأرضِ والشّمسُ والقمرُ والنّجومُ والجبالُ والشّجرُ والدّوابُ وكثيرٌ منَ النّاسِ وكثيرٌ حقَّ عليهِ العذابُ ومنْ يُهنِ اللهُ فما لهُ منْ مكرمٍ إنّ اللهَ يفعلُ ما يشاءُ " الحج / ١٨

المفرداتُ:

الدّواب: جمعُ دابّةٍ، وقصدَ بهِ هُنا كلّ ما يدبّ على الأرضِ عدا الإنسان.

ترى: الرؤيةُ عينيّة.

نجد الآية هنا قد حملت مشهدًا يقرّ في القلوبِ ويزيدُ في رهبتِها وإقبالِها، فهو تعريضٌ وترغيبٌ، تلاهُ تهديدٌ ووعيدٌ.

فالآيةُ بدأتْ بالاستفهامِ الإنكاريّ، وكما يرى عاشور فإنّه: " أَنْكَرَ عَلَى الْمُخَاطَبِينَ عَدَمَ عِلْمِهِمْ بِدَلَالَةِ أَحْوَالِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى تَفَرُّدِ اللَّهِ بِالْإِلَهِيَّةِ " (1) .

ويجوزُ في الاستفهامِ أنْ يكونَ غرضُه التّقريرَ، وفي ذلك يقولُ عاشور: " وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِلنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالِاسْتِفْهَامُ تَقْرِيرِيًّا، لِأَنَّ حُصُولَ عِلْمِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ مُتَقَرِّرٌ مِنْ سُورَةِ الرَّعْدِ وَسُورَةِ النَّحْلِ "(2).

وقد ذهب الزمخشريّ إلى أنّ السجودَ هنا على الحقيقةِ وليس على المجاز (3) .

وقد ذهبَ عاشور على أنّ السجودَ يأتي على الحقيقةِ وعلى المجاز.

مستدلًّا: " أَنَّ السُّجُودَ الْمُثْبَتَ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ هُوَ السُّجُودُ الْحَقِيقِيُّ، وَلَوْلَا إِرَادَةُ ذَلِكَ لَمَا احْتَرَسَ بِإِثْبَاتِهِ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لَا لِجَمِيعِهِمْ " (4) .

ويرى أبو حيّان أنّ: "الظَّاهِرُ أَنَّ السُّجُودَ هُنَا عِبَارَةٌ عَنْ طَوَاعِيَةِ مَا ذَكَرَ تَعَالَى وَالِانْقِيَادِ لِمَا يُرِيدُهُ تَعَالَى، وَهَذَا مَعْنًى شَمِلَ مَنْ يَعْقِلُ وَمَا لَا يَعْقِلُ، وَمَنْ يَسْجُدُ سُجُودَ التَّكْلِيفِ وَمَنْ لَا يَسْجُدُهُ " (5) .

ويعقّبُ صاحبُ الظّلال:

" ويتدبّر القلبُ هذا النصّ، فإذا حشدَ منَ الخلائق ممّا يدركُ الإنسانُ وممّا لا يدركُ. وإذا حشدَ من الأفلاكِ والأجرام. ممّا يعلمُ الإنسانُ وممّا لا يعلمُ. وإذا حشدَ منَ الجبال والشّجر والدّواب في هذه الأرض الّتي يعيشُ عليها الإنسانُ، إذا بتلكَ الحشودُ كلّها في موكبٍ خاشع تسجدُ كلّها للهِ، وتتّجهُ إليهِ وحدَه دونَ سواهُ. تتّجهُ إليهِ وحدهُ في وحدةٍ واتّساق. إلّا ذلكَ الإنسان فهوَ وحده الّذي يتفرقُ: وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ فيبدو هذا الإنسانُ عجيبًا في ذلك الموكبِ المتناسق.

وهنا يقرّر أنّ منْ يحقّ عليهِ العذابُ فقدْ حقّ عليهِ الهوانُ: وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ، فلا كرامة إلّا بإكرام اللهِ، ولا عزّةَ إلّا بعزّةِ اللهِ. وقد ذلّ وهانَ من دانَ لغير الديّان " (6).

الآيةُ السّابعةُ:

" يا أيّها الّذينَ آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخيرَ لعلّكم تفلِحون " الحج / ٧٧

المفرداتُ:

نجدها واضحةً موجّهةً للمؤمنينَ بالرّكوع والسّجودِ وعبادةِ اللهِ، وفعلِ الخير في سبيلِ الوصولِ للفلاح في الدّارين.

الأساليبُ:

نجدُ الأساليبَ وقعت في المستوى الإنشائيّ الّذي يحملُ غرضَ الحثّ والإقبال والنّصح والإرشادِ، يبثّها القرآنُ في النّفس المؤمنةِ، لتزدادَ قربًا منَ اللهِ، وتجعلها في طمأنينةٍ وسلمٍ يبعثان على بناءِ مجتمع سليمٍ قويمٍ.

ونجد أنّ سورةَ الحجّ فضّلت بسجدتين ونقل الثعلبي في تفسيره (7):

" أنّ رجلًا من أهلِ مصرَ أخبرَ عبدَ اللهِ بن عمر أنّ عمرَ بنَ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ قرأ سورةَ الحجّ فسجدَ فيها سجدتَيْن ثمّ قالَ: إنّ هذه السّورةَ فضّلت بسجدتَيْن " (8).

وذكرَ الزمخشريّ في تفسيرهِ للآيةِ:

" للذّكر شأنٌ ليسَ لغيره منَ الطّاعاتِ. وفي هذه السورةِ دلالاتٌ على ذلكَ، فمن ثمّة دعا المؤمنين أوّلًا إلى الصّلاةِ التي هي ذكرٌ خالصٌ، ثمّ إلى العبادةِ بغير الصّلاةِ كالصّوم والحجّ والغزو، ثمّ عمّ بالحثّ على سائر الخيراتِ. وقيلَ: كانَ النّاسُ

أوّل ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجودٍ، فأمروا أن تكونَ صلاتُهم بركوعٍ وسجودٍ. وقيل: معنى وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ اقصدوا بركوعِكم وسجودِكم وجهَ اللهِ. وعن ابن عبّاسٍ في قولِه وَافْعَلُوا الْخَيْرَ صلة الأرحامِ ومكارم الأخلاق لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أي افعلوا هذا كله وأنتم راجونَ للفلاح طامعون فيه، غير مستيقنينَ ولا تتّكلوا على أعمالِكم " (9).

ويذكرُ أبو حيّان اختلافَ أئمّة الفقهِ في وجوبِ السّجودِ في هذهِ الآيةِ:

" وَأَمَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ لَا يُسْجَدُ فِيهَا، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ أَنَّهُ يُسْجَدُ فِيهَا وَبِهِ قَالَ عُمَرُ وابنه عبد الله وعثمان وَأَبُو الدَّرْدَاءِ وَأَبُو مُوسَى وَابْنُ عَبَّاسٍ " (10).

ثمّ يعقّبُ أبو حيّان على ترتيبِ الأوامر في الآيةِ:

" وَيَظْهَرُ فِي هَذَا التَّرْتِيبِ أَنَّهُمْ أُمِرُوا أَوَّلًا بِالصَّلَاةِ وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَثَانِيًا بِالْعِبَادَةِ وَهِيَ نَوْعٌ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ، وَثَالِثًا بِفِعْلِ الْخَيْرِ وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْعِبَادَةِ فَبَدَأَ بِخَاصٍّ ثُمَّ بِعَامٍّ ثُمَّ بِأَعَمَّ " (11) .

ونجدُ عاشور في التّحرير والتنوير يعقّب على الخطابِ الموجّهِ للمؤمنينَ:

" لَمَّا كَانَ خِطَابُ الْمُشْرِكِينَ فَاتِحًا لِهَذِهِ السُّورَةِ وَشَاغِلًا لِمُعْظَمِهَا عَدَا مَا وَقَعَ اعْتِرَاضًا فِي خِلَالِ ذَلِكَ، فَقَدْ خُوطِبَ الْمُشْرِكُونَ بِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَعِنْدَ اسْتِيفَاءِ مَا سِيقَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْحُجَجِ وَالْقَوَارِعِ وَالنِّدَاءِ عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهِمْ، خُتِمَتِ السُّورَةُ بِالْإِقْبَالِ عَلَى خِطَابِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُصْلِحُ أَعْمَالَهُمْ وَيُنَوِّهُ بِشَأْنِهِمْ " (12).

وبهذا نجدُ الآيةَ قد حملتْ منَ اللّفتاتِ البلاغيّةِ ما يؤكّدُ على أنّ الخطابَ فيها كان تاليًا لخطابِ المشركينَ، وقد بيّنت لنا تبدّل الخطابُ ومستواهُ بتبدّل حالِ المخاطبِ، فالمخاطبُ هنا في الآيةِ هم المؤمنونَ، لذا رأينا الأوامرَ الدّاعيةَ لصلاحِهم وإقامةِ مجتمعِهم، لتنتهي الآيةُ بالدّعوةِ للفلاح من خلالِ أسلوبِ الرّجاءِ.

الآيةُ الثّامنةُ:

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا " الفرقان / ٦٠ .

نجدُ الآيةَ قد بدأتْ بشرطٍ غير جازمٍ يرادُ بهِ التّحقيق، وتحملُ في ثناياها استفهامًا ساخرًا مستهزئًا، وتنهي بخبرٍ يؤكّد صدودَ المشركين.

وقفَ المفسّرونَ أمامَ لفتةِ استخدامِ استفهامِ الرّحمن في سياق الآيةِ بالتّحليل.

فذكرَ الزمخشريّ تأويلات لسؤال المشركين:

" وَمَا الرَّحْمَنُ يجوز أن يكونَ سؤالًا عن المسمّى به، لأنّهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، والسّؤال عن المجهول بما. ويجوزُ أنْ يكونَ سؤالًا عن معناهُ، لأنّه لمْ يكنْ مستعملًا في كلامِهم كما استعملَ الرّحيمَ والرّحومَ والرّاحمَ، أو لأنّهم أنكروا إطلاقهُ على اللهِ تعالى "(13).

ثمّ نجد عاشور يبيّن طبيعة الإخبار في الآيةِ:

" وَالْخَبَرُ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ كِنَايَةً فِي التَّعْجِيبِ مِنْ عِنَادِهِمْ وَبُهْتَانِهِمْ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ إِفَادَةَ الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَعْلُومٌ مِنْ شَأْنِهِمْ " (14).

فهو عنى بالإخبار استهزاءِهم واستهانتِهم في قولِه تعالى: وما الرّحمن، وفي أنسجد.

ثم يبيّن عاشور طبيعة السّجودِ الموجّهِ إليهم:

" وَالسُّجُودُ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ سُجُودُ الِاعْتِرَافِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَهُوَ شِعَارُ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَكُنِ السُّجُودُ مِنْ عِبَادَتِهِمْ وَإِنَّمَا كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْأَصْنَامِ، وَأَمَّا سُجُودُ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ فَلَيْسَ مُرَادًا هُنَا إِذْ لَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ يُؤْمَرُ بِالصَّلَاةِ وَلَا فَائِدَةَ فِي تَكْلِيفِهِمْ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا " (15).

ثمّ نجدُه يعقّب على غرض الاستفهامَيْن في الآيةِ:

" وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الِاسْتِغْرَابِ، يَعْنُونَ تَجَاهُلَ هَذَا الِاسْمِ، وَلِذَلِكَ اسْتَفْهَمُوا عَنْهُ بِمَا دُونَ (مَنْ) بِاعْتِبَارِ السُّؤَالِ عَنْ مَعْنَى هَذَا الِاسْمِ.

وَالِاسْتِفْهَامُ فِي أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا إِنْكَارٌ وَامْتِنَاعٌ، أَيْ لَا نَسْجُدُ لِشَيْءٍ تَأْمُرُنَا بِالسُّجُودِ لَهُ عَلَى أَنَّ مَا نَكِرَةٌ مَوْصُوفَةٌ، أَوْ لَا نَسْجُدُ لِلَّذِي تَأْمُرُنَا بِالسُّجُودِ لَهُ إِنْ كَانَتْ مَا مَوْصُولَةً، وَحُذِفَ الْعَائِدُ مِنَ الصِّفَةِ أَوِ الصِّلَةِ مَعَ مَا اتَّصَلَ هُوَ بِهِ لِدَلَالَةِ مَا سَبَقَ عَلَيْهِ "(16) .

وهكذا نجد أنّ الآيةَ رسمت كما ذكرَ صاحبُ الظّلال صورةً كريهةً من صور الاستهتار والتّطاول تذكرُ هنا للتّهوين من وقع تطاولِهم على الرّسول- صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- (17).

فالآيةُ كانتْ تقرّر حالَ هؤلاءِ المشركين بكلّ ما فيهِ منْ عنادٍ وإصرارٍ على إشراكِهم، وما بثّ من استهزاء بذاتِ اللهِ العلويّةِ.

الآيةُ التّاسعةُ:

" ألا يسجدوا للهِ الّذي يخرجُ الخبءَ في السّماواتِ والأرضِ ويعلمُ ما تخفونَ وما تعلنونَ " النمل : ٢٥ .
نجدُ المفسّرينَ وقفوا أمامَ الفعلِ المضارع يسجدوا مبيّنينَ سببَ النّصبِ:
فذكرَ الزمخشريّ أنّ ألّا وردَ فيها قراءَتان التّسهيل والتّشديدِ، فحملَ روايةَ التّشديدِ وهي روايةُ الجمهور على:
من قرأ بالتّشديدِ أرادَ: فصدّهم عن السّبيلِ لئلّا يسجدوا فحذف الجارّ مع أن. ويجوز أن تكونَ "لا" مزيدة، ويكون المعنى: فهم لا يهتدونَ إلى أنْ يسجدوا. ومن قرأ بالتّخفيفِ، فهو ألا يسجدوا. ألا للتّنبيهِ، ويا حرفُ النّداءِ، ومناداه محذوف، كما حذفه من قال:
ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى ..... (18)
وقد ذكر الأخفش هذا التخريج (19).
وذكر عاشور التّخريج التّالي:
وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ بِتَخْفِيفِ اللَّامِ عَلَى أَنَّهَا (أَلَا) حَرْفُ الِاسْتِفْتَاحِ وَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ يَسْجُدُوا مُرَكَّبًا مِنْ يَاءِ النِّدَاءِ وَفِعْلِ الْأَمْرِ، كَمَا تَقَدَّمَ وَفِيهِ مَا تَقَدَّمَ. وَالْوَقْفُ فِي هَذِهِ عَلَى (أَلَا) (20).
ثمّ وقفَ عاشور أمامَ البلاغةِ في قولِه تعالى يخرج الخبء:
" الْخَبْءَ: مَصْدَرُ خَبَّأَ الشَّيْءَ إِذَا أَخْفَاهُ. أُطْلِقَ هُنَا عَلَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أي الْمَخْبُوءُ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْخَفَاءِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْوَصْفِ بِالْمَصْدَرِ. وَمُنَاسَبَةُ وُقُوعِ الصِّفَةِ بِالْمَوْصُولِ فِي قَوْلِهِ: الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ لِحَالَةِ خَبَرِ الْهُدْهُدِ ظَاهِرَةٌ لِأَنَّ فِيهَا اطِّلَاعًا عَلَى أَمْرٍ خَفِيٍّ. وَإِخْرَاجُ الْخَبْءِ: إِبْرَازُهُ لِلنَّاسِ، أَيْ إِعْطَاؤُهُ، أَيْ إِعْطَاءُ مَا هُوَ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَهُمْ مِنَ الْمَطَرِ وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ وَإِعْطَاءِ الْأَرْزَاقِ، وَهَذَا مُؤْذِنٌ بِصِفَةِ الْقُدْرَةِ(21).
ثمّ بيّنَ أنّ الانتقالَ في قولِه تعالى ويعلم ما تخفونَ وَمَا تعْلِنُونَ:
مُؤْذِنٌ بِعُمُومِ صِفَةِ الْعِلْمِ.
ثمّ ذكرَ الالتفات في روايةِ الكسائيّ وحفص عن عاصم:
وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: يُخْفُونَ وَيُعْلِنُونَ بِيَاءِ الْغَيْبَةِ. وَقَرَأَهُ الْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ بِتَاءِ الْخِطَابِ فَهُوَ الْتِفَاتٌ (22) .
وبهذا نجدُ الآية قد بيّنتْ أنّ حالَ هؤلاءِ القومِ الّذين جاءَ بخبرهم الهدهدُ والاستغراب من سجودِهم للشّمس والقمر ونأيهم عن السّجودِ للهِ، فكانت الآيةُ مشهدًا أوليًا مهّد لحالِ الإيمانِ الّذي ستغدو عليها ملكة سبأ وقومها.
الآيةُ العاشرةُ: " إنّما يؤمنُ بآياتِنا الّذينَ إذا ذكّروا بها خرّوا سجّدًا وسبّحوا بحمدِ ربّهم وهم لا يستكبرون " السجدة / ١٥.
نجدُ الآيةَ وردت في الصّورة الّتي حملتِ اسمَ السّجدةِ. فجاءت بعدَ عرضِ حالِ المشركينَ المتكبّرينَ، ثمّ تلاها وصفٌ لحالِ المؤمنينَ بصورٍ بلاغيّةٍ فيها قدرةُ اللهِ على الإعجازِ البيانيّ.
الآيةُ بدأتْ بأسلوبِ القصرِ والحصرِ، وهو أسلوبٌ بلاغيّ يؤكّدُ أنّ المقصورَ هوَ وحده المرادُ لا سواهُ.
ذكّروا به: وعظوا خرّوا: أقبلوا منصاعينَ.
وذكر ابنُ عطيّة أنّ السّجودَ هنا يعدّ من: عزائم سجودِ القرآنِ، ونقل عن ابن عبّاس أنّ: السّجود هنا بمعنى الرّكوع(23).
وقدْ وصفَ الشّوكانيّ صورةَ السّجودِ في قولِه تعالى: خرجوا سجّدًا:
مَعْنَى "خَرُّوا سُجَّدًا" سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ سَاجِدِينَ تَعْظِيمًا لِآيَاتِ اللَّهِ، وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِهِ وَعَذَابِهِ (24).
ويصوّرُ صاحبُ الظّلالِ مشهدَ السّجودِ:
" وهيَ صورةٌ وضيئةٌ للأرواحِ المؤمنةِ، اللّطيفةِ، الشّفيفةِ الحسّاسةِ المرتجفةِ من خشيةِ اللهِ وتقواهُ، المتّجهة إلى ربّها بالطّاعةِ المتطلّعةِ إليهِ بالرّجاءِ، في غير ما استعلاء ولا استكبار. هذهِ الأرواحُ هي الّتي تؤمن بآياتِ اللهِ، وتتلقّاها بالحسّ المتوقّز والقلبِ المستيقظِ والضّميرِ المستنير.
هؤلاء إذا ذكّروا بآياتِ ربّهم "خَرُّوا سُجَّدًا" تأثّرًا بما ذكّروا به، وتعظيمًا للهِ الّذي ذكّروا بآياتِهِ، وشعورًا بجلالِه الّذي يقابل بالسّجودِ أوّل ما يقابل، تعبيرًا عن الإحساسِ الّذي لا يعبّر عنهُ إلّا تمريغُ الجباهِ بالتّرابِ "وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ". معَ حركةِ الجسدِ بالسّجودِ. "وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ" .. فهي استجابةُ الطّائع الخاشع المنيبِ الشّاعر بجلالِ اللهِ الكبيرِ المتعال " (25).
ووقفَ عاشور أمامَ اللّمحةِ البلاغيّةِ في القصر:
" وَمُفَادُ إِنَّمَا قَصْرٌ إِضَافِيٌّ، أَيْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا

تَذْكِيرًا بمَا سَبَقَ لَهُمْ سَمَاعُهُ لَمْ يَتَرَيَّثُوا عَنْ إِظْهَارِ الْخُضُوعِ لِلَّهِ دُونَ الَّذِينَ قَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَهَذَا تأييس للنبـــــــيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِيمَانِهِمْ، وَتَعْرِيضٌ بِهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُونَ الْمُسْلِمِينَ بِإِيمَانِهِمْ وَلَا يَغِيظُونَهُمْ بِالتَّصَلُّبِ فِي الْكُفْرِ(26)

وكذلكَ وقفَ أمامَ صيغةِ المضارعِ الّتي تلت إنّما:

"وَأُوثِرَتْ صِيغَةُ الْمُضَارِعِ فِي إِنَّمَا يُؤْمِنُ لِمَا تُشْعِرُ بِهِ مِنْ أَنَّهُمْ يَتَجَدَّدُونَ فِي الْإِيمَانِ وَيَزْدَادُونَ يَقِينًا وَقْتًا فَوَقْتًا " " (27).

وهكذا يتبيّن لنا أنّ الآية حملت صورةً بلاغيّةً رسمتْ مشهدَ الخضوع والإذلال التّامّيْن للهِ.

الهامشُ:

(١) التحرير والتنوير ١٧/٢٢٥ .
(٢) التحرير والتنوير ١٧/٢٢٥ .
(٣) الكشاف : ٣/١٤٨ .
(٤) التحرير والتنوير ١٧/٢٢٥ .
(٥) البحر المحيط : ٧/٤٩٣ .
(٦) في ظلال القرآن : ٤/٢٤١٤ .
(٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٧/٣٤ .
(٨) الحديث في موطأ مالك ٢٦٠ ـ ١/١٠١ وهو كما رواه الإمام مالك في الموطّأ : " حدّثنا أبو مصعب، قالَ: حدّثنا مالك، عن عبدِ اللهِ بن دينار ونافع، مولى عبدِ اللهِ بن عمرَ؛ أنّ رجلًا من أهلِ مصرَ أخبرهُما, أنّ عمرَ بن الخطّابِ قرأ سورةَ الحجّ, فسجدَ فيها سجدتَيْن، ثمّ قالَ: إنّ هذهِ السّورةَ فضّلتْ بسجدتَيْن".
(٩) الكشاف : ٣/١٧٢ .
(١٠) البحر المحيط ٧/٥٣٧ .
(١١) البحر المحيط ٧/٥٣٧ .
(١٢)التحرير والتنوير ١٧/٣٤٥ .
(١٣) الكشاف ٣/٢٨٩ .
(١٤)التحرير والتنوير ١٩/٦١ .
(١٥)التحرير والتنوير ١٩/٦١ .
(١٦)التحرير والتنوير ١٩/٦١ .
(١٧)في ظلال القرآن ٥/٢٥٧٥ .
(١٨) الكشاف : ٣/٣٦١ ، وما ذكر صدر والعجز :
..... ولا زالَ مُنْهلاً بجَرْعائكِ القطْرُ والبيت لذي الرمّة في الكامل : ١/١٢١ والعقد الفريد ٨/١٢٣.
(١٩) معاني القرآني للأخفش : ٢/٤٦٥ .
(٢٠) التحرير والتنوير ١٩/٢٤٥ .
(٢١)التحرير والتنوير ١٩/٢٤٥ .
(٢٢)التحرير والتنوير ١٩/٢٤٥ .
(٢٣)المحرر الوجيز ٤/٣٦٠ .
(٢٤)فتح القدير ٤/٢٩٠ .
(٢٥)في ظلال القرآن ٥/٢٨١٢ .
(٢٦)التحرير والتنوير ٢١/٢٢٧ .
(٢٧)التحرير والتنوير ٢١/٢٢٧ .

من نشاطات الواحة الثقافية

مسابقة الواحة الرمضانية

في أيامِ رَمضانَ الكريمِ ولياليهِ ، أَطلقتْ رابطةُ الواحةِ الثّقافيةِ مُسابقتَها الرّمضانيّةَ التّرويحيّةَ الإثرائيّةَ والّتي كانت عبارةً عن أسئلةٍ تَمَّ طرحُها كُلَّ مساءٍ عَقِبَ صلاةِ التّراويحِ على المتسابِقينَ مِن كُلّ أعضاءِ الواحةِ جميعاً عدا الطاقمِ الإداريّ، بجائزةٍ حدّدَتْها رابطةُ الواحةِ الثقافيةِ بمَجموعةِ إصداراتِها (نسخةٌ مِن خمائلِ الواحةِ ، ونُسخةٌ مِن سنابلِ الواحةِ ، ونُسخةٌ مِن مَجموعَةِ الأُستاذةِ كاملةَ بَدارنَه النَّثريةِ "سِباحةٌ بَيْنَ الحُروف" (للفائزينَ الثّلاثةَ الأوائلِ الذينَ تَمَّ إرسالُ الجوائزِ إليهم بَعْدَ إعلانِ النتيجةِ مُباشرةً إلى عَناوينهم) .

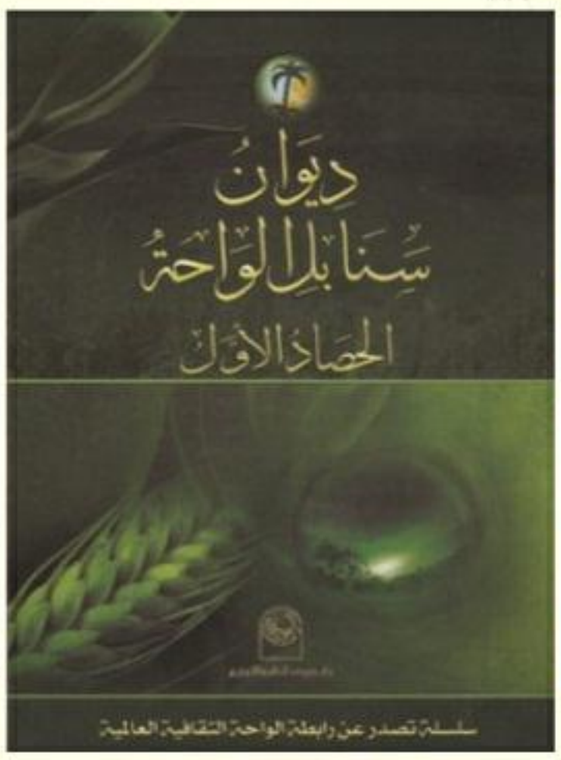

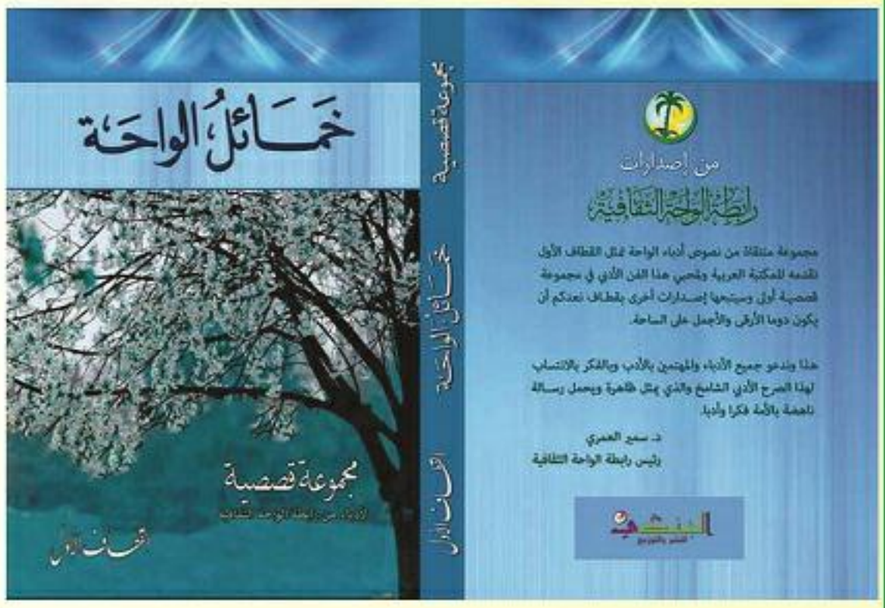

الجدِيرُ بالذّكْرِ أنَّ الجوائزَ كانت مِنْ
نَصيبِ الفائزِ الأوّلِ (مُكرّر) : أَحْلام أحْمَد ، ولانا عَبْدُ السّتّار ، بمجموعِ (٩٨,٥ %) لِكُلٍّ مِنْهُما ، و الفائزِ الثّاني : نِداء غَريب صَبْري ، بمجموع (٩٢,٥ %) . و الفائزِ الثّالث : ناصِر أبو الحارِث ، بمجموع (٦٣٪) .

و كان التَّقييمُ قد تَوزَّعَ على ثلاثةِ معاييرَ هي : المشاركةُ ولها ١٥ دَرَجةً : نِصفُ درجةٍ لِكُلِّ مُشاركةٍ (وعددُها ثلاثون) ، و الصِّحةُ العِلميَّةُ لها ٧٥ درجةً : لِكُلِّ سؤالٍ إجابَتُهُ صحيحةٌ وكامِلةٌ درجتانِ ونصفُ الدَّرَجةِ ، وللسَّلامَةِ اللُّغَويِّةِ ١٥ درجةً : لِكُلِّ إجابةٍ نِصفُ درجةٍ

أشْرَفَ على المُسابَقَةِ واختارَ الإجاباتِ الصَّحيحَةِ مُشْرِفُ الواحةِ العامّ الأديبُ الأستاذُ مُصطفى حَمْزَة .

زهرة الجوري

محمد الشرادي

كوخٌ صغيرٌ يستريحُ من شططِ السّنين، وفواجع الدّهر على سفحِ ربوةٍ هي بدورها تستريحُ تحتَ ظلّ أشجار البلّوطِ، والكستناء. يغطّيها النجيل بالكامل. أمامَ الكوخ جلسَ فتًى يافعٌ. جسمُه يفيضُ جمالًا. ونعاجُه تجترّ الأعشابَ تحتَ الشّجر، بينما الحملان الناصعة البياض تناثرت على الرّبوةِ كأزهار آسٍ ناعمةٍ. كان الفتى ينظر إلى قبرين. يتأمّل أحدهما مليًّا، و يتذكّر حكاية أمّه في أدقّ تفاصيلِها:

- أبوك لم يمتْ يا ولدي. وجثمانُه لا يوجد في ذلك القبر. يوم ماتَ زوجي الأوّل، أقفرت هذه الربوة.لم أعدْ أطيق العيشَ فيها. فكّرتُ في الانتحار..في الرّحيل.ذات ليلة، وأنا في حالةِ يأسٍ وقنوطٍ. رأيتُ نورًا ينزلُ من السّماءِ. بقيتُ مسمّرةً في مكاني، وقلبي يتخبّط خوفًا بين أضلعي. استوى النّور بشرًا بهيًّا. دنا منّي. مسح دموعي، ومن دون مقدّمات مدّ يده وقال:

- أتقبلين الزّواج منّي؟

جفّت منابعُ الكلام في أعماقي. رفعت عيني حتى عانقت عينيه. لم أنبسْ بكلمةٍ. فهم المراد من نظراتي المستسلمةِ كليّا.حملني بينَ ذراعيهِ، ومنذ ذلك اليوم صرنا زوجين متحابّين.

غمرني بحنوّه، وكنت له زوجةً تتفانى في عشقِه. سعدنا سعادةً كبيرةً. لم أسأله يومًا من هو؟ أكان ملاكًا؟ إلهًا؟ نصف إله؟جنيًّا...؟ لا أعرفُ، و لا أريدُ أنْ أعرفَ. بعد عام من حلاوةِ العيش رزقنا بكَ. ملأتَ علينا الدّنيا. خرجت يومها، وبأعلى صوتي أخبرتُ العالمَ بقدومِك.كلّ الكائناتِ باركت ميلادَك،و بايعتْكَ أميرًا لهذهِ الرّبوةِ.

بعد أسبوع من إطلالتِك البهيّةِ، قبّلني أبوكَ على خدّي...ودّعني، وعادَ من حيثُ أتى. عندما يئستُ من عودَتِهِ، حفرتُ ذلكَ القبرَ وكتبتُ عليهِ:

- هذا قبرُ هبة السّماءِ. زارني ليلًا وغادرني ليلًا. صرت أزورُه باستمرار حتّى لا أنساه، وتندثر ذكراه.

****

أسفل الربوة يمتدّ سهلٌ على طولِ البصر حتّى عانقت خضرتُهُ في الأفق زرقةَ السّماءِ. يتوسّطه قصرٌ عظيمٌ.تحفّ به أشجارُ الصّفصافِ لتقيهِ هبوبَ الرّياح العاتيةِ.يجلسُ الفتى قبالته، وعيناه تتنقّلان بين شرفاتِهِ. يطلقُ العنانَ لصوتِهِ العذب. على شرفةِ القصر يلوح طيفٌ ينتظرُ الفتى ظهورَه. يعذب صوته أكثر. يرقصُ الطّيفُ على إيقاع شدوهِ رقصةً شهيّةً. فيزدادُ الصّوتُ تألقًا. شغفها حبًّا بنغماتِ صوتِهِ. سكن طيفُها في قلبهِ. تمنّتْ لو تراهُ. تمنّى لو يعاينها. اختفت من الشّرفةِ. ظهرت في بابِ القصرِ الخارجيّ.سارت نحوه. اقتربت أكثر.تسارعت دقاتُ قلبهِ.اشتعلَ جسمُهُ الطريّ حرارةً. وقفت أمامَه، جسمُها البلّوريّ يفيضُ أنوثةً.... ثغرُها الرقّاف يعبقُ بأريج الأزهار، وعلى شفتيْها تتألّق البسماتُ كقناديلِ البحار... توشّي جيدَها الفاتن بعقدٍ من بديع الأزهار.

لهذا الجسد الريّان صدًى في كلّ الأساطير. في الشّتاءِ تنظرُ بعينيها الساحرتين لندفِ الثّلج، فتنتظمُ أزهارُ ياسمين على ضفافِ الأنهار. في الصّيفِ يحميها السّحابُ من الحرِّ، و تنبجسُ جداولُ الماءِ من تحتِ أقدامِها. أيّ قلبٍ يتحمّل عشقَ هذا الجسدِ الجبّار دونَ أنْ ينصهرَ ويذوبَ؟

وأيّ عينٍ تجرؤُ على إمعانِ النّظر فيه دون أن تنحنيَ إكبارًا لوسامتِهِ، وإجلالًا لقسامتِهِ؟ جلست بجانبه وضعت يدَها النّاعمةَ على يدِهِ. تشابكت أناملُهما ومعها تشابكَ قلباهما إلى الأبد...وقفت واتّجهت نحوَ القصر... لم يسألْها متى تعودُ. كلّما فاضت أشواقُهُ، أرسلَ شدوهُ, فتشتعلُ في فؤادِها رغبةُ الوصال.

****

شعرتْ أمّه بمعجزةِ صوتِه قبلَ ولادتِه. طيلةَ مدّةِ الحمل، كان صوتٌ يأتيها لحنًا ساحرًا من قممِ الجبال. يوم

ولادتِه بدأت تحسّه خلفَ البابِ. في الليل تسمعه قربَ مهدِهِ يترنّم. في أوقاتِ توتّره يأتيها بكاؤه تقاسيمُ ربابٍ شجيّة. وفي لحظاتِ سرورِه تتدفّقُ الضّحكاتِ من ثغرِهِ الجميل كخريرِ الجداول. صارَ شدوُهُ ينتشرُ في الأرجاءِ نغماتٍ ساحرةً تنتظمُ لها نبضاتُ القلوبِ، ويسكنها السّلامُ. تطربُ لها جميعُ الكائناتِ. يغنّي لخرافهِ الوديعةِ فتقبلُ على العشبِ بنهمٍ...ثمّ يغنّي لها فتمرحُ وتلهو...ثمّ يغنّي لها فتنامُ تحتَ ظلِّ الشّجر. صوتُه حماه وأمّه من الوحوشِ الضّاريةِ. وقد صار اليوم حصان طروادة، بفضله يتسلّل إلى البلاطِ المنيع، ليدعوَ مهجةَ قلبهِ للّقاءِ.

****

اشتهرَ أبوها بقلبهِ القاسي. أقسمَ لزوجتِهِ وهيَ في عزّ حملِها، أنّه سيقومُ بوأدِ كلّ وليدٍ لا يكونُ ذكرًا. يومَ ولادَتِها انتشرَ المسكُ لمدّةِ شهرٍ في البيتِ،وامتلأتِ البئرُ التي نكزَت منذُ سنين...وعادت السّنونو لتبني أعشاشَها على شرفاتِ القصرِ بعدَ أن هجرتها لأعوامٍ طويلة. وامتلأت الأجباحُ بالعسلِ. وأشجارِ اللّوزِ أزهرت قبلَ أوانِها. أربكتهُ هذه الإشاراتُ الغريبةُ.حملها بين كفّيْهِ...صرعتْهُ بوسامتِها ...رمتهُ ببسمةٍ ساحرةٍ...تسرّبت إلى قلبهِ حبّاتُ ندًى بلّلت تربتَه الصّلدة...حرّكت فيه لأوّل مرّةٍ أحاسيسَ رقيقةً...ضمّها إلى صدره، و صارَ يحدّثها:

- هذا الحسنُ لا يليقُ إلا بابنِ عمّك.سأزفّك إليهِ في أعظمِ زفافٍ يجتمعُ فيهِ البهاءُ والثروةُ والجاهُ والعشقُ الأصيلُ. سأفقأ عيني كلّ من ينظرُ إليكِ نظرةَ اشتهاء، وأقطعُ لسانَ من يتغنّى بوسامتِكِ، أو يطلب يدك للزّواج...

****

نجمان يتألّقان تحتَ ظلّ الشّجر،يداهُما متشابكتان، وعيونُهما تذرفُ دررًا وجواهرَ حسرة على حبّهما الذي بات مهدّدًا. صارت تخافُ على توأمِ روحِها من بطشِ أبيها. رفعت كفّيها إلى السّماءِ في استجداء حارّ...بكت حتّى بلّلتِ الدّموعُ صدرَها الباذخَ. حين انتهت من دعائِها أقبلَ عليهما شيخٌ على جانبٍ وافرٍ من الجلالِ والهيبةِ. وقفَ أمامهما...خاطبهما:

- حبٌّ عظيمٌ كحبّكما لا يجبُ أن يفنى...فيه الصّدقُ، والوفاءُ... سأمنحكما حريّة اللّقاءِ خارج طبيعتِكما البشريّة، شرط ألّا يغنّي حبيبك هذا بعد اليوم.

****

غزالةٌ صبوحٌ تغتسلُ في الغدير، و تتمرّغ على مروج الزّعتر والرّيحان... تخضّبُ كعابها بالحنّاء. تمضغُ الزّهرَ والوردَ فتأرجُ أنفاسَها... تقبل نديّةً شهيّةً عطرةً. يأتيها ظبيٌ وسيمٌ وضيءٌ. تستعرضُ أنوثتَها ...تعانقُه...يعانقُها... يجثو أمامَها...يقبّلُ التّرابَ الذي تطؤه قوائمُها النّاعمةُ.

يربضان على بساطِ الطّبيعةِ الزّاهي.... يتبادلان الغزلَ والقبلاتِ... يكتشفان أنّهما يستطيعان التحرّرَ من قوّةِ الجاذبيّةِ... يسبحان في السّماءِ...يلتقط النّجيماتِ... يرتّبها عقدًا يوشّي بهِ عنقها الأجيدَ. تنسجُ له من صوفِ الغمامِ طاقيّةً زاهيةً. وحين يتعبان يستريحان على شرفاتِ السّحابِ. يرتشفان فناجين العشق. رغمَ سعادتِها شعرت أنّ جذوةَ الحبِّ بدأتْ تخبو في قلبها، لأنّها لمْ تعدْ تسمع ذلك الصوت العذب الذي يجعلُ عشقها يتجدّدُ كلّ يومٍ على نغماتِهِ. استعطفته كي يغنّيَ ولو لفترةٍ وجيزةٍ. امتنعَ..ألحّت. نظرَ حولَه. دبّ الموتُ في كلّ شيءٍ... أضربت خرافه عن الطّعام...بدأ المرضُ يتسلّل إلى الجسمِ النديّ لغزالتِه، وهو يعرفُ أن "الظّباء لا تمرضُ إلّا مرض الموت".

أطلقَ العنانَ لصوتِهِ الصدّاح.انتشرَ في كلّ البقاعِ طبولًا و مزامير... انكشفَ سرّهما...ظهرا على صورتِهما البشريّةِ. عنَّ لها والدها يسدّد أحقادَه سهمًا قاتلًا...ضمّته إلى صدرها...أصابَها الرّمحُ في جيدِها. أطلقَ أبوها سهمًا ثانيًا مزّق قلبَه. خرَّ قربَها... عانقها... عانقتْهُ... امتزجت دماؤهما...ارتفعا في عنانِ السّماءِ، و دماؤهما الممتزجة تتهاطلُ على السّهول والتّلال، وعلى ضفافِ الأنهار...من كلّ قطرةِ دمٍ عطرةٍ تنبتُ زهرةً نضرةً رائعةً...

التربيةُ غير المنتجة

فريد البيدق

التّربيةُ غيرُ المنتجةِ شعارُها "تحايل - يا معلّم- إن سُئلتَ عمّا لا تعلمه"

(١) عندما تتصفّح الكتبَ التربـويّةَ في مختلفِ العلومِ التربـويّةِ من علمِ نفس تعلّم ومناهج وطرق تدريسٍ وتكنلوجيا تعليمٍ وأصولِ تربيةٍ و ...- تجد إجماعًا على أنّ صيغ التّعليمِ التقدّميّة هي تلكَ الّتي تعتمد التّعليمَ النّشط بصوره المختلفةِ الكثيرةِ.

ما التّعليم النّشط؟

إنّه ذلك النّوع منَ التّعليمِ المتمركز حولَ المتعلّم وأنشطتِه وميولِه واتّجاهاتِه.

وتجد الجزءَ المكمّل لذلك الإجماع الهجوم على الطّريقةِ التقليديّةِ للتّعليم.

ما الطّريقة التّقليديّة للتّعليم؟

إنّها تلك الّتي تتمركزُ حولَ المعلّم والمنهج وتهمل المتعلّم، وتجعل المعلّمَ هو المصدر الوحيد للمعلومةِ المرسلةِ إلى الطّالبِ.

تجد ذلك الإجماع بشقيه معلنًا بحماسةٍ من الأساتذةِ، وتجد تعبيراتِهم تكاد تكونُ واحدةً في كتبهم ومحاضراتِهم.

هذا في الكتبِ والمحاضراتِ فقط!

ما معنى ذلك؟

معناه أنّهم يعلنونَ ذلكَ في كتبهم فإذا ما أتوا إلى التّطبيق وجدتَهم يفكّرونَ بالطّريقةِ التّقليديّةِ الّتي لا تبني شخصيّة المتعلّم ولا المعلّم.

كيف؟

سأحصرُ التّمثيلَ في هذا المقال في نصائحِهم في علاج ذلك النّوع منَ المواقفِ التّعليميّةِ الّتي يسألُ فيها المتعلّم المعلّم سؤالًا لا يعلمه المعلّم. ماذا يجب على المعلّم في هذه الحالةِ؟

تجد هذا الموقف التعليميّ موضوعًا مهمًّا عندهم، فبم ينصحون المعلّمين؟

تجدهم يقولون: أعد السؤال إلى التّلاميذِ فلعلّ واحدًا يعرفه، أو اجعل السّؤالَ نشاطًا يأتونك بهِ الحصّةِ القادمةِ الّتي تتيح لكَ وقتًا تبحث فيه عن الجوابِ، أو أرجئ الإجابة إلى آخر الحصّةِ الّتي ستنتهي من دون جوابٍ، أو ... أو ... إلخ.

ستجد كلّ مقترحاتِهم تدورُ في هذا المضمار، ولن تجدَهم يقتربونَ من تلكَ الإجابةِ القصيرةِ الواضحةِ الّتي تتّسق مع اتّجاهِهم.

ما هي؟

إنّها قولُ المعلّم: لا أعلم، وسأبحث، وسآتيكَ بالجوابِ إن شاءَ اللهُ تعالى الحصّة القادمة.

إذا قلت ذلك صرخوا في وجهك إجماعًا قائلين: يا لك من أبلهٍ معتوهٍ!

ولئن سألتهم: لماذا أنا أبله معتوه- لقالوا: إنّ قولك هذا يضرّ بك عندَ التّلميذِ أو الطّالبِ. فإن سألتَهم: كيف- فإنّهم يقولون مطمئنّين: إنّ صورتَك الذهنيّة عنده عظيمة، وهو يظنّ أنّك تعلم كلّ شيء، و....- فلا يجوزُ أن تصدمَه.

فإن سمحوا لكَ أن تقولَ: لكنّكم أفهمتمونا في كتبكم ومحاضراتِكم أنّ التّعليمَ النّشط يكون المعلّمُ فيه موجّهًا ومرشدًا ومصمّمًا للمواقفِ التّعليميّةِ وليسَ ناقلًا للمعرفةِ أو محتكرًا لها، وقولي هذا يتّسق مع كلامِكم ولا يضرّني في شيء- فإنّهم يهمهمونَ ولا يبيّنونَ، لكنّك تلمَح منهم إصرارًا على إجماعِهم النظريّ الذي يتناقض مع معالجتِهم المشكلات التعليميّة العمليّة.

فإن تظاهروا بإفساح الصّدر لك فقلتَ لهم: إنّ هذه التّربية الّتي تجعل المعلّمَ يتحايلُ ويهربُ ممّا لا يعلّمه تربية لا تنتجُ مواطنًا يبني وطنَه؛ لأنّ معلّمه علّمه أن يتركّزَ جهده في الهربِ ممّا لا يعرفه بدلًا من العمل والاجتهادِ في البحثِ عن جوابه، وأنها تربية تجعلُ المعلم إلها ينبغي له أن يعلمَ كلّ شيءٍ، وأنّها علاج من الطّريقةِ التقليديّة التي ترى المعلّم مصدرًا وحيدًا للمعلوماتَ، وَأنها تخالف القول الحكيم: من قال: لا أعلم- فقد أفتى، و...إلخ. وإنها تضر بالمَعلم والمتعلّم؛ لأنّ العلاقة بينهما ممتدّة على مدار عام دراسيّ أو أكثر يمتلئ بالمواقف التعليمية التي يسبرون غور هذا المعلم فلا يرضون منه إلا بما اعتادوه ضعفا أو قوة، وإنها تخالف ما تقولونه وتكررونه من وجوب الإعداد الذهنيّ للدرّس قبل الإعداد الكتابي؛ لأن الطالب له مصادر علم كثيرة- لأنهوا الموضوع إنهاء ميتا لا يوضح الصورة وضوحا تاما.

(٢)

وتخرج من كل السابق بصورة مؤداها أنهم ينقلون كلاما يخالف حقيقة الأمر ويضاد واقعهم، لكنه يوائم "المودة" التربوية المنتشرة هذه الأيام؛ فيا أيها المعلم كن قويا وأجب إن حضرتك الإجابة، واعتذر إن جهلت وعِدْ بالبحث؛ لأن ذلك هو الوسيلة الصحيحة لبناء الإنسان المسلم الذي يُرجى منه النّهوض بأمّته!

ومضات

ومضات

صباحٌ وأملٌ
أميمة الرباعي

ها نحنُ نصحو.. نحفرُ الصّخرَ, نبحثُ عن بذرةِ أملٍ سقطتْ منّا يومًا ونسيناها, نرويها بدموعِ الرّجاءِ... وستنمو.

حقٌّ مشروعُ
فايدة حسن

تطاولتْ سنابلُ القمحِ, لتستنشقَ الهواءَ العليلَ, أتاها إعصارٌ يزمجرُ, فاجتثّ بعضَها فهوى ساقطًا مغدورًا بهِ .. تماسكَ الباقي, وتطاولَ أكثر معلنًا حقّه في الهواءِ العليلِ.

قصورٌ في الحسابِ
محمّد ذيب سليمان

وحينما بدأ العقابُ الجماعيّ، وأدركَه اللّيلُ ذاتَ مساءٍ, لمْ يجدْ ما يملأ بهِ سراجَه سوى زيتِ زيتونتِهِ الّتي كانت تظلّلُ فناءَ بيتِهِ، بكى طويلًا لأنّهُ تركَها لهمْ، ونصبَ مكانَها خيمةً.

مُفلسٌ (ق ق ج)
زهراء المقدسية

أفلسَ...أمسكَ ريشتَهُ ورسمَ حُدودَ الدّولةِ الفاضلةِ ...على الورقِ الأزرقِ، هَرولتْ أسماكُ البحرِ الهائجةُ اشترَتْ بضاعتَه...فأصبحَ منَ الأغنياءِ...

نَهْجُ العِتْقِ
د . مازن لبابيدي

يَمْشِي وَحِلاً فِي حَقْلِ الأَلغامِ وَقَلْبُهُ يَخْفِقُ كزِلزَالٍ يابانِيٍّ ..
لا بُدَّ من بُلُوغِ الغايَةِ الكَبِيرَةِ ، أَرْضِ الكَلأِ والنَّدَى والحُرِّيَّةِ ..
يَتَلَفَّتُ يَمْنَةً ويَسْرَةً ، هَلْ هُنَاكَ ضِباعٌ تَرْصُدُهُ ؟
يَصْرُخُ بِأَنِينٍ صَاخِبٍ طَلَبًا لِلعِتْقِ ، فَيَتَرَدَّدُ فِي الوَادِي صَدَى أَلْفِ أَلْفِ حَنِينٍ ..
تَبْرُقُ عَيْنَاهُ ..
يَرْتَفِعُ صَوْتُ صُرَاخِهِ وَيَنْفَرِجُ مَبْسِمُهُ وَيَخِفُّ وَجِيبُ قَلْبِهِ لِيَتَنَاغَمَ مَعَ وَقْعِ الخُطَا الَّتِي تَوَحَّدَتْ مَعَ النِّدَاءِ ..
يُهَشِّمُ صَوْتٌ قَبِيحٌ صَفَاءَ الأُنْشُودَةِ وَتَتَفَرَّقُ الغِزْلانُ ..... إِلاَّ وَاحِدًا يَبْقَى هَامِدًا يَصْطَبِغُ صَدْرُهُ بِمَاءِ الوَرْدِ وَرَائِحَةِ المِسْكِ ، وَتَزْدَادُ ابْتِسَامَتُهُ انْفِرَاجًا .

كاريكاتير

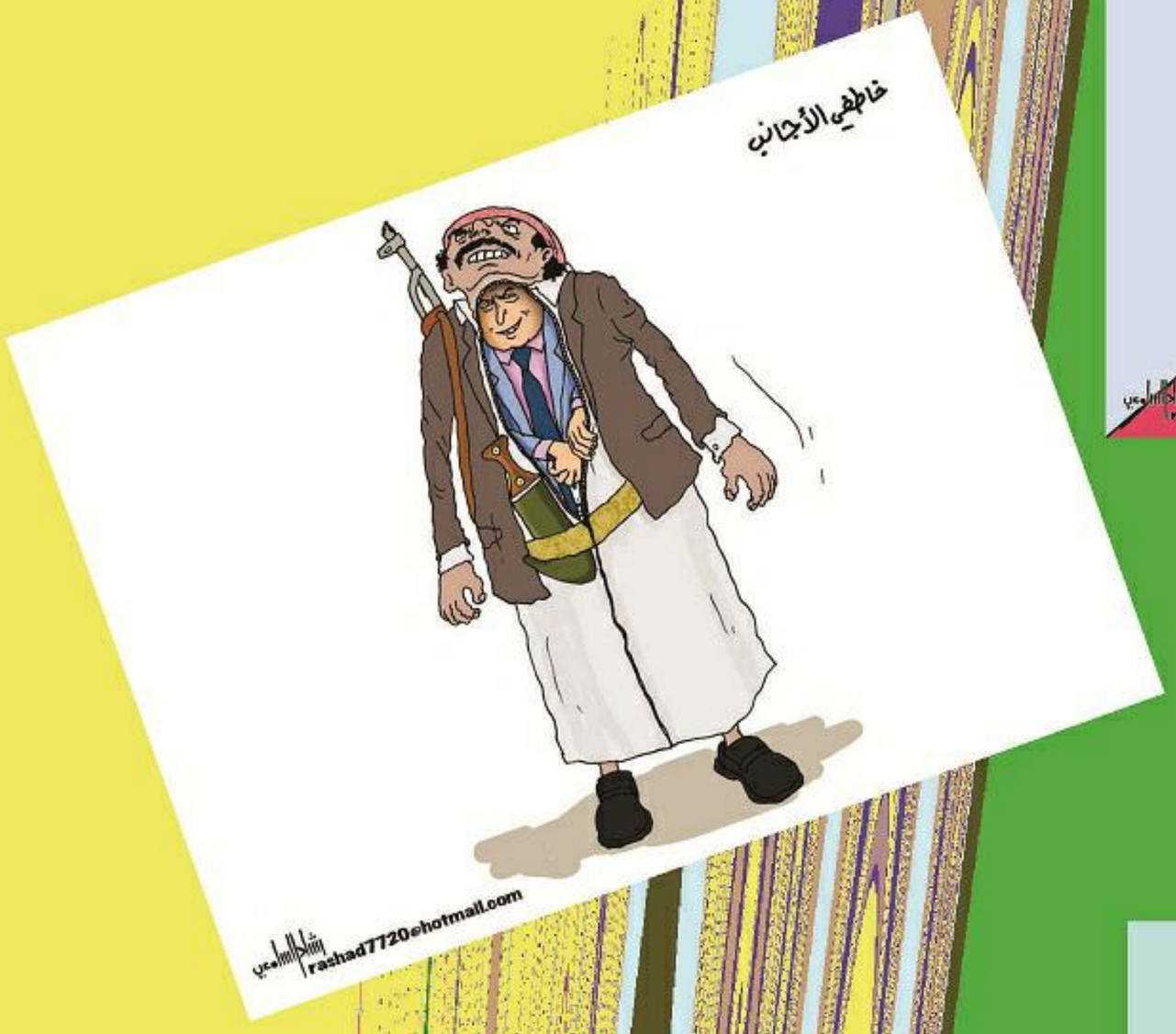

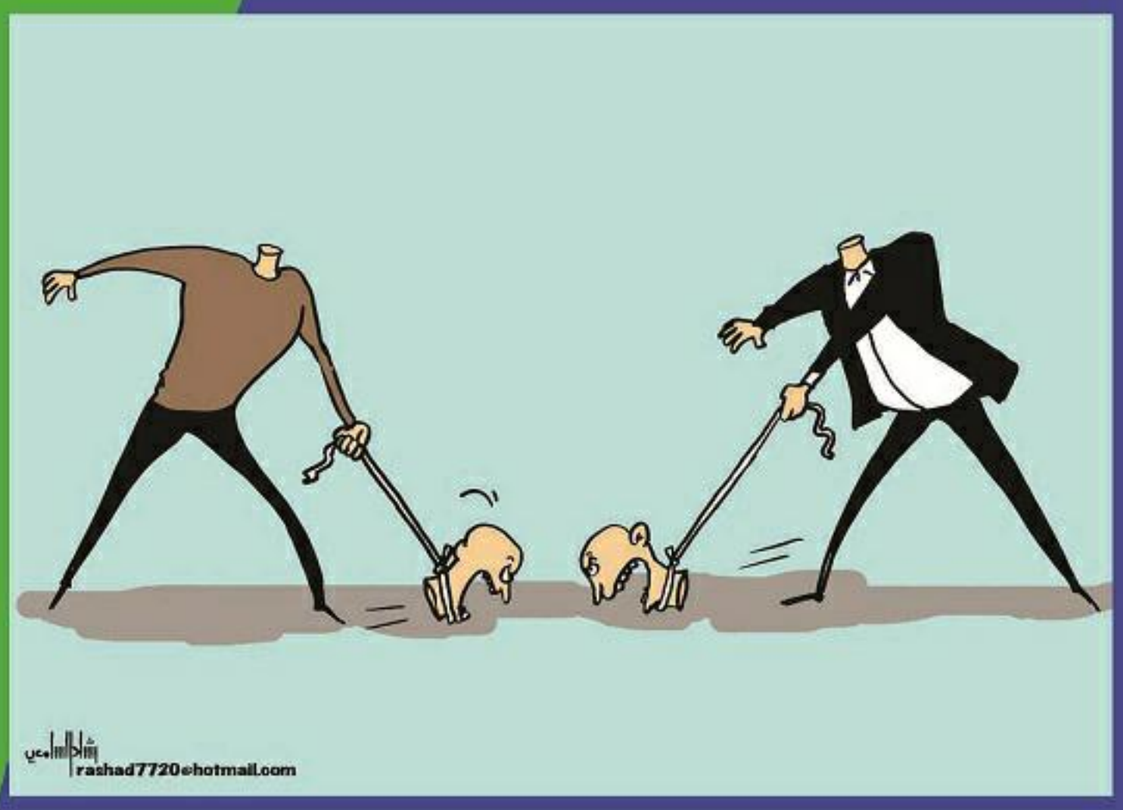

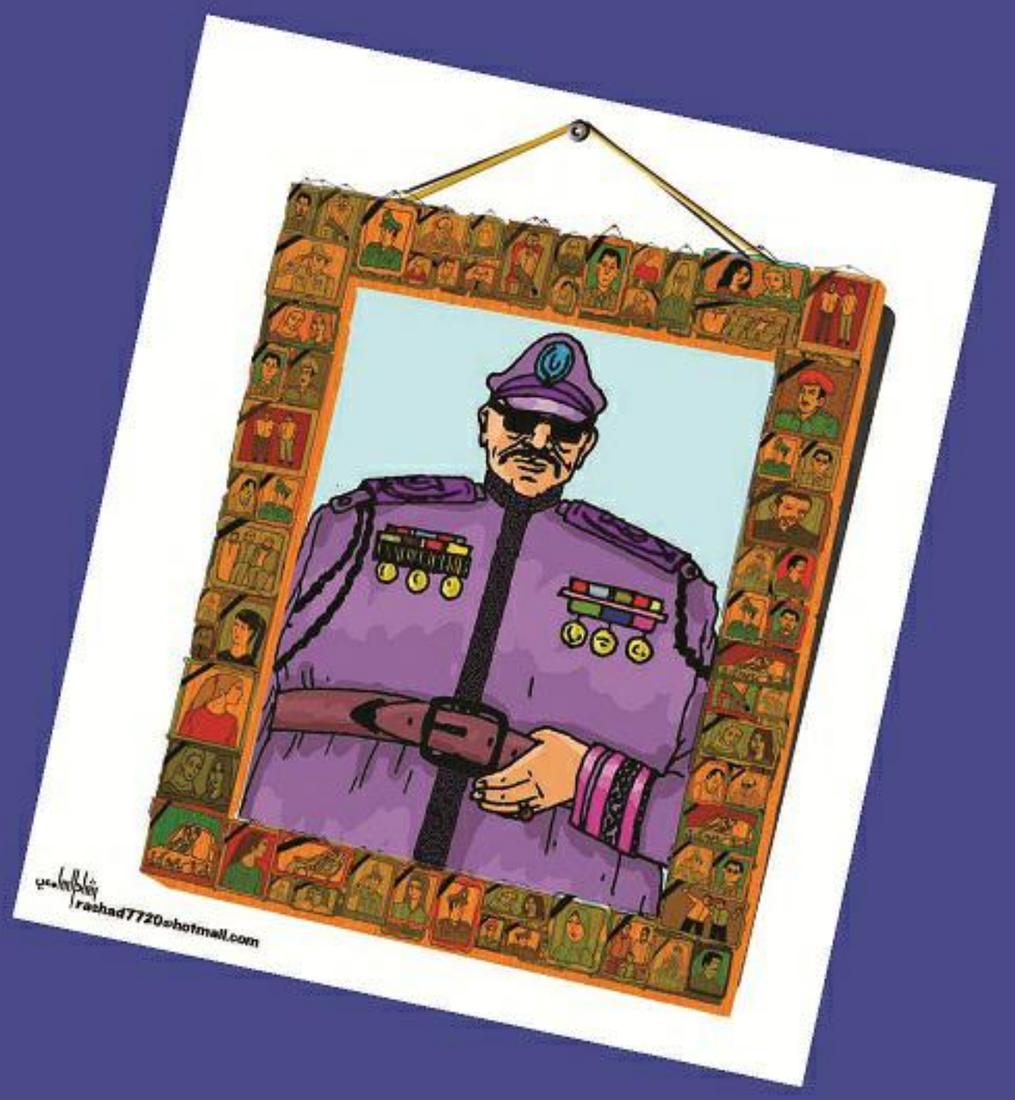

بريشة الفنان :

رشاد السامعي

مجلة الواحة الثقافية

تصدر عن

رابطة الواحة الثقافية

يمكنك التواصل مع الموقع والمشاركة في المجلة

عن طريق الرابط :

moltaqa/net.alwaha-rabitat.www://Http